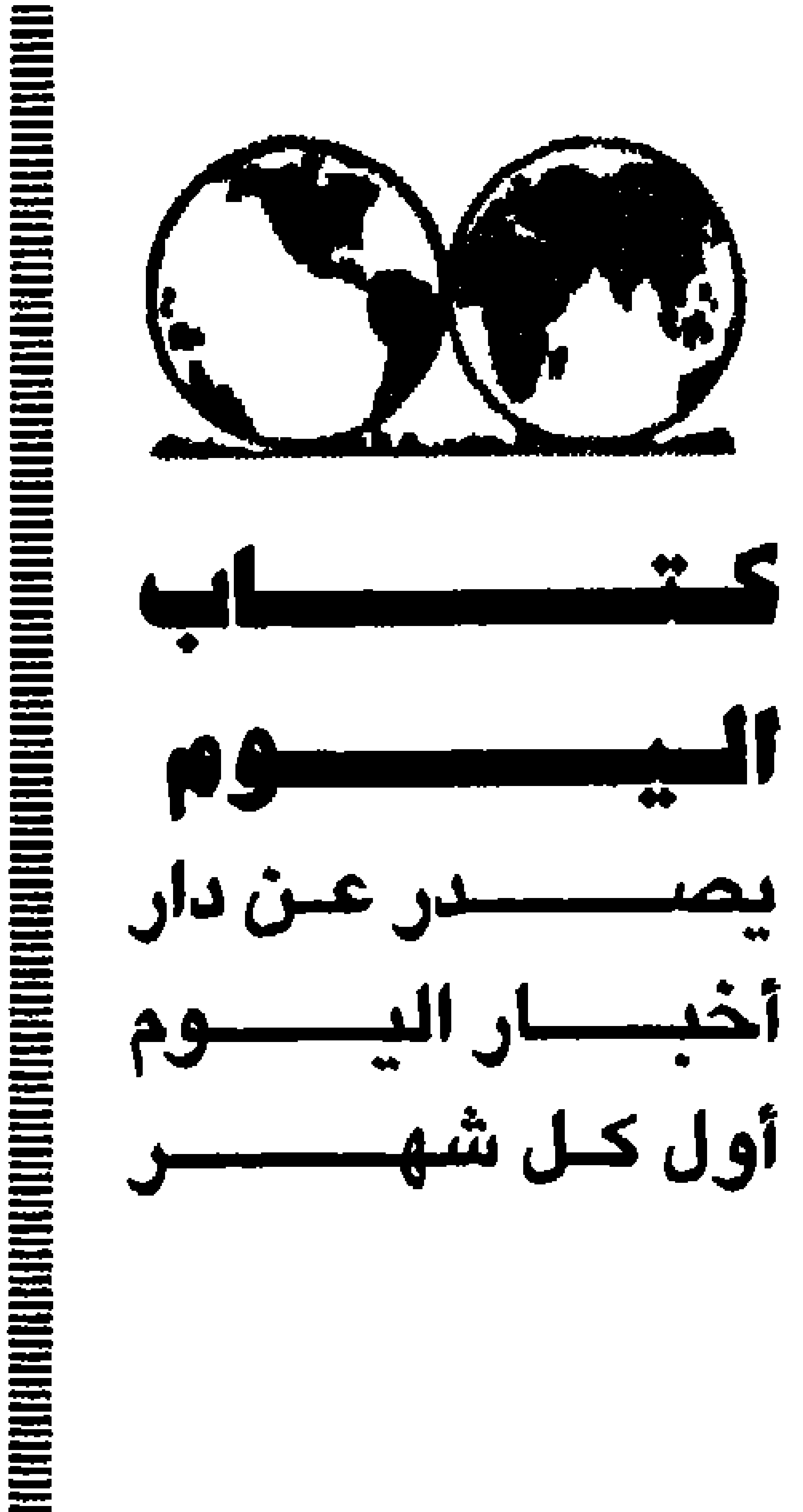

كتاب اليوم
ألحان السماء
محمود السعدنى



كتاب اليوم

يصدر عن دار أخبار اليوم أول كل شهر

□ يناير ١٩٩٦ □

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

نبيل أباظة

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	١٥	درهم
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٥٠	فلس
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٢٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل.س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنت
ج. اليمنية	١٥٠	ريال
الصومال نيجريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
المانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٠ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٢٥ دولارا

أمريكيا أو ما يعادله

أوربا وأمريكا ٣٠ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

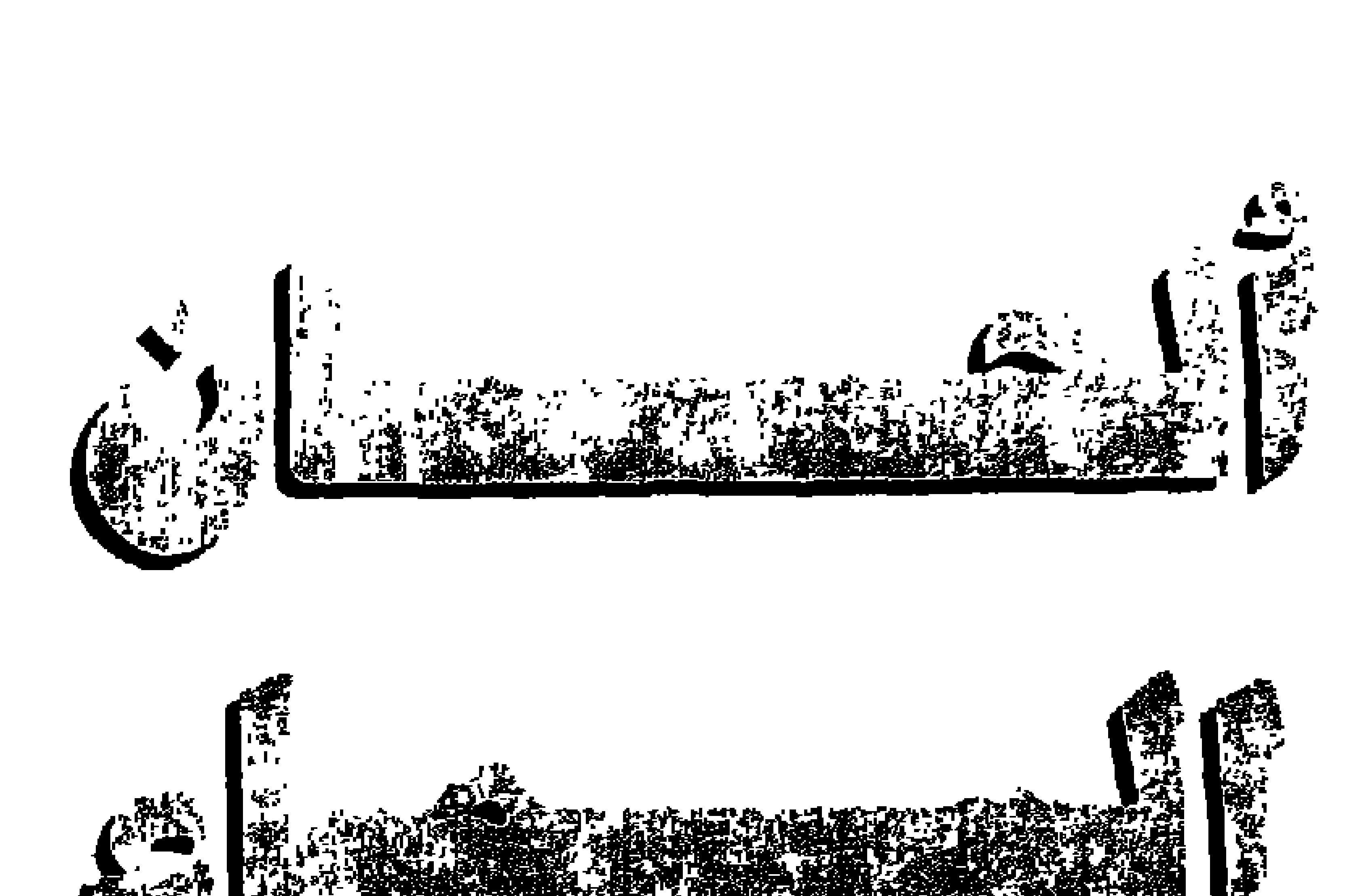
● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠



محمود السعدنى

الغلاف بريشة الفنان :

سيد عبد الفتاح

مقــدمــة الـكـتــاب

بقـــلم :

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

●● استمع فضيلة الإمـام الشيخ محمد متـولى الشعراوى إلى فصول هـذا الكتاب، قرأهـا عليه واحد مـن مريديـه، فأبدى إعجـابه بما جـاء فيه، وأثنى على كـاتبـه ودعا لـه بالتـوفيق والسداد.

ولما طلب منـه مريدوه أن يكتـب مقدمة للكتـاب، رحب على الفور، وكتب هذه الكلمات الطيبات ●●

« مـا أحسن مـاسمعت، ومـا أروع مـادعيت إليـه، ومـا أروع استجابتى له.

فالكـاتب القدير الأستاذ محمـود السعدنى، الذى طـوف بأدبه وفكره مـاطوف، وأثرى المكتبـة الأدبية والسيـاسية بما خلف، أهل لأن يجعل الله لدينه نصيبا من أدبه، وحظا من قلمه.

فهنيئـا له حين يتـوج رحلته القلميـة بهذا الشرف العالى، الـذى عاش فيه مع كتاب الله، وبدأه بأول مرحلة فيه، وهى الصوت الذى نطق، بعـد الأذن التى استمعـت، وأشـاعت أنغـام الجلال، فى آذان الخلق جميعا.

ولقد كـان الناس يحسبونه فى أقل منـازل الدين واليقين، لأنهم يرون فى غيرهم أعلام علماء، وفحول مُعْلَّمينَ معلِّمين.

وقد ارتضى هؤلاء الكبـار، أن يكون حظهم من المجتمع فى هذه المكانة، وارتضـوا أن تكون مكانتهم عنـد الله، لأنهم الصدى الحلو

من كلام الله.وحسبهم أنهم كانوا جنودا لكلمة الله: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

فهؤلاء من جنود الحفظ، وقادة التحفيظ، ومنهم استقبل العلماء مافسروا، وأخذ الفقهاء عنهم مااجتهدوا، وأخذ الأدباء منهم مادبجوا به عيون المقال، وفصل الخطاب.

فهنيئا لهم أولا، وهنيئا للكاتب الذى رفع اعتبارهم فوق كل اعتبار، وجعل كل متكلم فى الدين، لايتكلم إلا بحجة ماأخذ عنهم، وبانضباط ماتلقى منهم، فهم الذين صححوا لكل لسان كيف يتكلم بالقرآن.

إن هذه الكتيبة من القراء الذين شدوا بألحان السماء، وبتأليف الله لهم، لم يكونوا مكررين لا أداء، ولا أصواتا، ولا لحنا، بل لكل واحد منهم نغم يخدم النص.

فمنهم قمة الأحكام كالحصرى مثلا، ومنهم قمة الصوت الجميل كعبد الباسط، ومنهم قمة الفن الرفيع الرائع، المستحيل الجميل، كمصطفى إسماعيل، ومنهم جامع كل ذلك فى ائتلاف لايرتفع فيه فن على فن كالشيخ محمد رفعت، فهو كل هؤلاء جميعا، ويزيد أنه عالم بما يقرأ، تستطيع أن تفهمه بمجرد نطقه للكلمة، ولمحبيه ـ فى عصره ـ حكايات عن هذا الفهم الرائع لما كان يقرأ فى مسجد فاضل بدرب الجماميز.

فرحمهم الله جميعا ، ورضى عنهم، وجعل منهم أسوة للجيل القادم، لايستنكفون أن يكونوا كما تسميهم العامة «فقهاء» وهم فى الحق «فقهاء» بمفهوم الخاصة.

ورعى الله الأستاذ السعدنى وجعل ماقدم فيهم تاجا لما قدم فى سواهم، فسواهم خدم كلام الناس، وهؤلاء خدموا كلام الله.

بارك الله فيك يا محمود، وبارك منك، لتكون أسوة لإخوانك، فرسان القلم، ليجعلوا من كتاباتهم جانبا لله، فذلك خير وأبقى.

محمد متولى الشعراوى

فى البدء كانت الكلمة !

محمود السعدنى

هذا الكتاب ـ ألحان السماء ـ صدر أول مرة فى أول أبريل عام ١٩٥٩.. وقبل موعد صدوره بعدة أيام كان العبد لله يقيم فى سجن القلعة متهما بالشيوعية! ولم تتح الفرصة للعبد لله للاطلاع على الكتاب أو الاحتفاظ بنسخة من نسخه، لأن جميع النسخ اختفت من الأسواق خلال شهر رمضان.. ولم أتمكن من الحصول على نسخة من الكتاب إلا بعد ذلك بسنوات ومن فوق سور الأزبكية.. وحتى هذه النسخة ضاعت منى بعد ذلك، واضطررت إلى نشر بيان ناشدت فيه القراء الذين يحتفظون بنسخة من الكتاب أن يرسلوها لى شاكرين.

وتفضل أحد القراء فأرسل لى نسخة من الكتاب، واكتشفت بعد النظرة الأولى أنها فقدت بعض صفحاتها، وأن الزمن أكل الرسوم والنقوش التى كانت على الغلاف.

وبعد فترة تلقيت صورة من الكتاب أرسلها لى مشكورا الشيخ أحمد الرزيقى.. القارىء المعروف.. ولم أفكر فى إعادة طبع الكتاب إلا بعد رحلة السياحة الطويلة التى قمت بها مرغما خارج مصر، وبعد أن اكتشفت خلال الطواف بأنحاء العالم العربى، كم هو ثمين هذا الكنز الذى وهبنا الله إياه، متمثلا فى هذا الفن العظيم، فن قراءة القرآن الكريم.

واكتشفت خارج الحدود السر وراء الطلب الذى تقدم به الملك محمد الخامس إلى السلطات الفرنسية وهو فى منفاه الإجبارى للسماح له بالاحتفاظ بعدة أسطوانات للشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

واكتشفت السر وراء استدعاء الشيخ الشعشاعى وزميله الشيخ شعيشع إلى بغداد لإحياء ليالى مأتم الملك غازى ملك العراق.

واكتشفت السر وراء إصرار عثمان حيدر آباد أحد أمراء الهند العظام وأحد أثرياء العالم فى عصره على دعوة شيخ القراء الشيخ محمد رفعت لإحياء ليالى شهر رمضان فى قصره العظيم ومقابل أى كمية من الذهب يطلبها الشيخ رفعت.

وبعد عودتى إلى مصر هالنى مدى الفرق الرهيب بين مشايخ الأربعينات والخمسينات والستينات وبين ما نسمعه الآن، خصوصا السادة المشايخ الذين احترفوا تلاوة القرآن فى جهاز التليفزيون.. أصوات ملساء وأخرى صلعاء، وأغلبها بلا نبض ولا إحساس.

ما الذى جرى ؟ وكيف تغيرت الأحوال ؟ ولماذا انحدر المستوى على هذا النحو الذى لم يكن يتوقعه أحد على الإطلاق ؟ أين لجان الاستماع بأجهزة الاعلام؟ أين الأساتذة الكبار الذين كانوا حجة فى علم القراءات، كالشيخ محمد الصيفى والشيخ محمد الفيومى والشيخ منصور الشامى الدمنهورى ؟ أين أصحاب الحناجر الذهبية التى كانت تحلق بأفئدة الناس إلى السماوات العلا؟ كالشيخ منصور بدار والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبدالباسط عبدالصمد؟ أين المشايخ العظام الذين قدموا ألوانا من فن التلاوة كتب لها الخلود مع الأيام ؟ أين الشيخ الشعشاعى والشيخ عبدالعظيم زاهر والشيخ أحمد سليمان السعدنى والشيخ

محمد صـديق المنشاوى والشيخ محمـود على البنا والشيخ فـريد السنديونى والشيخ محمود عبدالحكم ؟

وهناك أكـذوبة ضخمـة تتردد هنا وهنـاك اختلقتها وأشـاعتها جماعات الإرهـاب، التى تـرفع شعارات دينيـة، أكذوبـة تقول : إن الصوت الجميل يتعـارض معا القراءة الشرعيـة.. وهى أكذوبـة بلا جدال، لأن سيد الخلق جميعا ونبـى الإسلام ورسول الله إلى الناس جميعـا سيـدنـا محمـد بن عبـدالله كـان لـه رأى يختلف عن رأى جماعات الإرهاب.

فقد عزم الرسول الكريم على تعليق جرس كبير فوق سطح أول مسجد أقيم فى الإسلام.. وبينما الصحابة منهمكون فى رفع الجرس فوق سطح المسجد، إذ جاء أحد الصحابة وقال للرسول : يارسول الله: لقد رأيت فيما يـرى النائم أننى أصعد على سطح هـذا المسجد وأنادى المسلمين للصـلاة بدعـاء، وراح الرجل يـردد الدعـاء الذى رآه فى المنـام: « الله .. أكبر الله.. أشهـد أن لاإلـه إلا الله.. أشهـد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمـدا رسول الله.. حى على الصلاة.. حى على الفلاح.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله»..

وبـدت السعادة على وجـه الرسـول الكـريم وقال للـرجل.. نعم مارأيت. وتهللت أساريـر الرجل وتوجه قـاصدا الصعود على سطح المسجـد ليؤذن للصـلاة. ولكن الرسـول الكـريم استوقف الـرجل بحزم وقال له: دع بلالا يؤذن، انه اندى منك صوتا.

هذا قانـون من قوانين الاسلام وضعه الرسـول الكريم صلوات الله عليه وسـلامه، قانـون يمنع الجمع بين وظيفتين فى وقت واحد، فمن حق هذا المسلم أن يحلم وهو مأجور على حلمه الجميل، ولكن يؤذن؟ فـلا وألف لا. لأن رفع الآذان وظيفـة سيدنا بـلال، ولسبب بسيط، هو أنـه اندى صوتـا، وبعبارة أخرى، صـوته أجمل وأمتع!

وإذا كان هذا هو حكم رسول الله ونبى الاسلام، فمن هو هذا الذى من حقه أن يحكم بعد ذلك؟

كان الشيخ على محمود يرحمه الله يـرفع الآذان من فوق مأذنة سيـدنـا الحسين فيجتمع عشرات الألوف فى الميـدان لـلاستماع إلى أذان الشيخ، واليوم نستمع إلى عشرات الميكـرفونـات عبر الشوارع والساحات، فنتمنى ان نهاجر بعيـدا عن هذه الأصوات. كان الشيخ على محمـود ينفذ وصيـة رسول الله، وهـؤلاء السادة من أصحـاب الأصوات القبيحة يتحدون رسول الله ويخالفون وصيته.

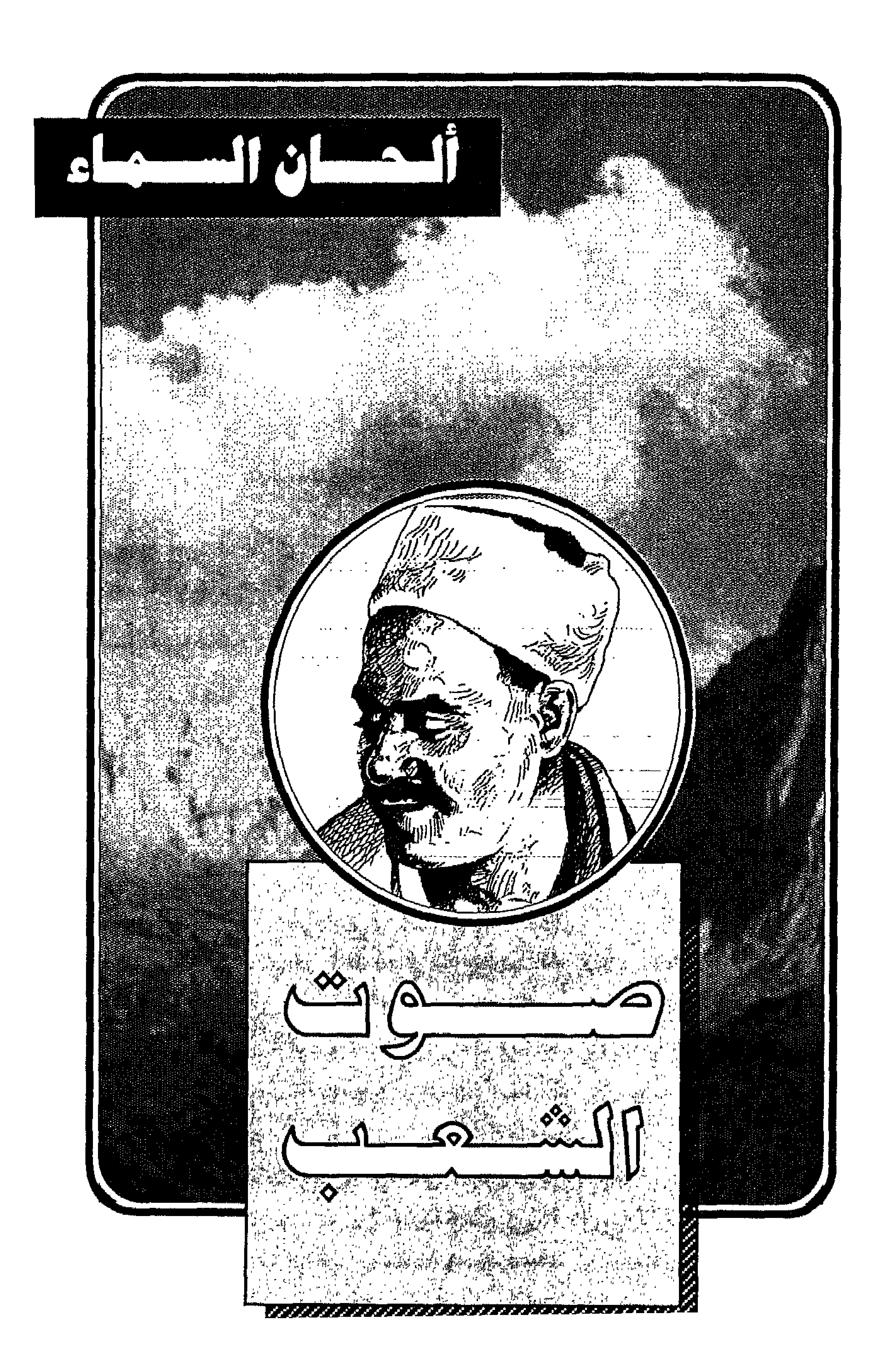
وكان لابـد من اصدار هذه الطبعـة الجديدة من الكتـاب. وهناك قضيـة أخرى.. فقـد كنت أعلم وأنـا أشرع فى كتـابـة سطور هـذا الكتاب انني أخوض فى حقل الغام. والسبب ان السادة المشاهير من قـراء القـرآن صـاروا كنـوادى كـرة القـدم، لكل منهم معجبـون ومتعصبون وأنصار. ولقد حدث ماتـوقعته بالتمام والكمال، عندما هاجمت الشيخ الطبـلاوى لجهله وضيق أفقـه وعدم اعترافـه بأحد غيره من القراء، اتصل بالحاج إبراهيم نـافع وهمس له بأنه يخشى أن يكـون وراء الهجـوم عليـه القارىء الـدكتـور نعينع. وعنـدمـا وصفت الشيخ نعينع بما يغضبـه ويـرضى الله، اتصل بـالصـديق اللـواء عبـدالحليم موسى وهمس لـه بأنـه يخشى أن يكـون وراء الهجـوم عليه الشيخ الطبـلاوى. أما الشيخ الطبـلاوى فقد لقنتـه درسـا لاأعتقد انـه سينسـاه، عندمـا اتصل بى تليفـونيـا معاتبـا، فأغرقته فى بحر من الأدب الرفيـع ومن بحر الشاعر الكبير الحطيئة ومن بحر أجـداده وأحفاده وإلى آخـر العنقود الشـاعر عبـدالحميد الديب. أمـا الدكتـور نعينع فلم أظفر بـه بعد، وأرجـو أن يلهمه الله فيتصل بى شفـاهة أو تحريـرا وأرجـو أن يقوينى الله لكى أجعلـه يفهم انه ليس كل الخيل يصلح للرهان!

كما انهالت على العبدلله عشرات الخطابات من القراء، كل قارىء يريد من العبدلله أن يضع قارئه المفضل على رأس قائمة القراء.

وسأكتفى فى هـذا الكتاب بعرض نموذج واحد من هذه الخطابات واخترته لعدة أسباب من بينها ان صاحب الخطاب يعيش فى البرازيل واسمه يحيى عاصم، كما انه يبدو من سطوره سميع قديم ومن أنصار الشيخ كامل يوسف البهتيمى. وهو غاضب لأننى حشرت الشيخ الشعشاعى والشيخ الحصرى بين عمالقة القراء ، كما انه زعلان لأننى تجاهلت الشيخة سكينة حسن، وهى فى رأيه السيدة الأولى وربما السيدة الوحيدة التى نقشت اسمها على صفحات فن تلاوة القرآن الكريم.

على العموم. هذا هو كتابى : « ألحان السماء » بين أيديكم، وأرجو أن أكون قد أديت الأمانة، وكما ينبغى أن تكون. وأرجو أن يكون للعبدلله أجر المجتهد، وفى الاسلام للمجتهد المخطىء أجر واحد وللمجتهد المصيب أجران. وألف رحمة ونور على المشايخ الكبار الذين سبقونا إلى رحاب الله. ونسأل الله التوفيق للمشايخ الذين على قيد الحياة!

محمود السعدنى



ألحان السماء
صوت
الشعب

الأصوات كالوجوه لكل منهـا سحنة خاصة ! هناك أصوات تنفر منها .

وأصـوات تـدخل السرور عليك، وأصوات تـرتـاح إليها ، وأصـوات تجعلـك ـ بالرغم منــك ـ تعشقها وتحبها .

والأصوات كـالمعادن بعضها كـالصفيح، وبعضها كـالفضة وبعضهـا له بـريق الـذهب، وبعضها لـه رنينه، ويندر جداً .. أن يكون الصوت من ذهب .

من هذه الأصوات الـذهبية صوت الشيخ مصطفى إسماعيل، وفى الماضى القـريب كـان صـوت الشيخ منصور بـدّار، الذى اعتزل القـراءة وآثر الـراحة فى قريته .

ولكن هنـاك من بين الأصـوات التى سمعناهـا ـــ ومـا أكثرهـا ـ صوت يقف فريداً غريباً بـاهراً ، وسر غرابتـه ـ فى رأى العبـد لله ـ أنه استمـد طبيعته من جـذور الأرض ، إنه صـوت المرحوم الشيخ محمد رفعت .. صوت الشعب .. فمـن أصوات الشحاذين والمداحين والندابين والبـاعة الجائلين ، استمـد المرحوم الشيخ محمـد رفعت صوتـه . فخرج مشحـونا بـالأمل والألم، مرتعشـا بالخوف والقلق عنيفـا .. عنف المعـارك التى خـاضها الشعـب، عريضـا .. عـرض

الحيــاة التى يتمنــاها .. ولــذلك كتب لهذا الصـــوت البقــاء وسيظل إحدى علامات الطريق فى تاريخنا الفنى الطويل .

ولقد نشأ الشيخ محمد رفعت فى حـــى شعبى ومات فيه، وفى حى البغــالة والسيــدة زينب اصطخبت بأسماع الفتى الضريــر الصغير أصـــوات كثيرة، استطاع أن يخزن منهــا ذخيرة ضخمة، واستطــاع بعــد ذلك أن يمضغهــا ويهضمهــا وأن يستخرج منهــا فى النهــايــة صـــوته الخالــد الذى نفــذ إلى أعماق النــاس فأبكاهم وأشجــاهم .. وهزهم هـــزاً.. ولا يهز أعماق الناس كالحقيقة والصـــدق. ولقد كان الشيخ صـادقــا فى إنفعاله، وكانــت طبقات صوته ونغماتــه حقيقية مأخــوذة من واقع النــاس، ومن فنـــونهم، من أســواقهم ونــدواتهم وأفــراحهم البسيطة.. وأحـــزانهم العنيفة.. ومعــاركهم القاسيــة مع الحياة .

ولكن الفنان العمـــلاق رفعت لم يقنع بدراسة فنـــون البسطاء، بل راح ينهل من الفن الموسيقى الرفيع، وعندمــا مات خلف ثروة كبيرة من اسطوانــات باخ وموزارت وبيتهوفن وليست، وعـــدة اسطوانات أخرى للعازف الكبير باجانينى، وكان رفعت يقضـى أمسيات طويلة مع هـــؤلاء العباقـــرة الأفذاذ يستمـــع إلى النغم الرائع الـــذى أبدعـــوه فظل مخلدا على الزمان .

ومن الـــدراســـة الشـــاقة الطـــويلـــة للنغم الـــرائع وفنـــون الشعب، استطــاع رفعت أن يبقى فى عـــالم الفنـــون راسخا كـــالهرم، خـــالـــدا كرسالات الأنبياء .

ولم يكن من قبيل المصــادفـــة أن يقترن ظهور الشيخ محمد رفعت بظهور عبقـــرى من نفس الطراز هـــو الشيخ سيد درويش، لم تكن مصـــادفة ، فقــد كـــان الشعب قد اكتمل وعيــه ونمـــوه وترجم هـــذا الـــوعى وهـــذا النمـــو بثـــورة ١٩١٩، وفى خلال الثـــورة كـــان سعـــد زغلـــول يمثل روح الشعب الصلبـــة القويـــة المصممـــة على السير فى

الطريق الذى بدأه حتى النهاية ، وراح سيد درويش يلحن صيحات الشعب السياسية والاجتماعية، وراح رفعت يلحن حياة الشعب الروحية .

ليست هذه مبالغة، فسيد درويش ورفعت كانا زعيمين من طراز سعد، وكما التقت طبقات الأمة وطوائفها حول سعد، وكما طربت لسيد درويش، تراها ـ وهنا العجب ـ تلتف حول رفعت بطوائفها، فلم يحدث قط قبل رفعت أن استمع أقباط مصر إلى قارىء، بل إن استماعهم إليه كان بشغف وبحب وبإعجاب شديد .

بل إن عظمة رفعت امتدت إلى خارج هذه الحدود، فقصة الضابط الكندى الذى انتهز فرصة وجوده فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية، وطلب من مدير الاذاعة أن يسهل له مقابلة رفعت، وعندما التقى به بكى الضابط الكندى وقال : لم أكن أعلم أنه أعمى، والآن عرفت سر الألم العظيم الذى يفيض به صوته العبقرى .

وحكايات أخرى كالأساطير شاعت عن الشيخ وذاعت .. وقصة الثورة التى أعلنها المستمعون عندما نشب خلاف بين رفعت ومحطة الاذاعة، حتى إن بعضهم هدد بعدم الاستماع إلى الراديو بالمرة، وهدد البعض الآخر بعدم دفع الضريبة إذا لم تخضع الاذاعة لرغبات رفعت العظيم، وقصة أبخل وأغنى رجل فى العالم عثمان حيدر أباد الذى طلب من العبقرى الشيخ أن يحضر إلى الهند مع « حاشيته » وبأجر مائة جنيه فى اليوم الواحد مع التكفل بنفقات الرحلة والاقامة من جيب الثرى البخيل، وتقول الحكاية أو الأسطورة : إن رفعت رفض عرض الرجل وفضل إحياء ليالى الفقراء بالمجان .

والعبد لله شخصيا لا يعرف إذا كانت هذه القصص حقيقية أم من نسج الخيال. ولكنها على أية حال ترينا كيف أصبح رفعت

بطلا شعبيا مثل عنترة وأبوزيد الهلالى ينسج الناس حوله قصصا خرافية، ولكنها فى الوقت نفسه تترجم مشاعر الناس البسطاء نحو الرجل العظيم، وعندما كان رفعت حيا يقرأ فى جامع فاضل باشا لم يكن أحد من المستمعين يتصايح أو يرفع عقيرته بعبارات الطرب والانسجام. كما يفعل المستمعون اليوم مع المشاهير من القراء .. كان فن رفعت الأصيل يجبرهم على الصمت ويقيدهم فى أمكانهم، يحتملون أحيانا فوق طاقتهم من ضيق المكان، ومن حرارة الجو ليستمتعوا بالصوت العبقرى العظيم .

هذه الحقيقة البسيطة تكفى وحدها ـ دون حاجة للأساطير للدلالة على عبقرية صوته الغريب .

وحقيقة أخرى أبلغ دلالة، فالغالبية العظمى من الأشرطة التى تذاع اليوم للشيخ محمد رفعت لم يكن للاذاعة فضل فيها ، بل الفضل كله يرجع إلى عشاق الشيخ الذين لم يكونوا على صلة صداقة أو معرفة بالشيخ. بل دفعهم الحب الصادق والاعتراف بعبقرية صاحب الصوت إلى تسجيل كل سور القرآن دون ماهدف إلا هدف الاحتفاظ بهذا التراث الخالد ،العظيم فنرى أحد البشوات هو زكريا مهران يحتفظ بتسجيلات الشيخ دون أن يكون قد رأى الشيخ مرة فى حياته .

وهناك تاجر وطنى كبير، وموظف سابق، وعمدة من عمد الأرياف يحتفظون بنفس الشىء لأنهم أدركوا بفطرتهم الفنية السليمة أن هذا الشىء يجب الاحتفاظ به .. لأنه ثمين .

دليل الحكايات الخيالية والحكايات التى حدثت فعلا دليل خطير خلاصته أن هذا الشعب الذى ظلمناه طويلا ولايزال بعض أدبائنا الكبار وفنانينا الكبار ـ الكبار سنا ـ يتهمونه بفساد الذوق وعدم التقدير وعدم الإحساس الفنى. شعب أصيل. أصيل فى وعيه،

أصيل فى تـذوقه، وتقـديره للفن.. على شرط أن يكـون فنا حقيقيـا يستحق التقدير .

وقد يقول قائل: ربما كان التقدير الذى حظى به رفعت راجعا إلى حب الناس وتقديرهم للديـن، وهو قول غير صـحيح .. فقد كان مع رفعت مجمـوعة من القـراء لا يمكن حصرها .. ولا تجاهلهـا، وكان من بينهم عباقـرة لمعوا فجأة ثم طـواهم النسيان، ولم يبق من بين الجموع الحاشدة إلا رفعت وحـده خير شاهد على أن الفن الأصيل يبقى .. وما عداه يزول !

وحتى بعـد مـوت رفعت، وبعـد أن ضـاع أخلـد أعمالـه .. وهـو صوتـه، وبقيت عدة أشرطة قـديمة سيئـة التسجيل، بعضـها يسىء إلى رفعت أكثر مما يحسن إليه، رغم هـذا كله. فقد أثبت الشعب أنه وفىّ وفاء منقطع النظير .

مثلا .. وهذه حقيقة وليست خرافة. أقسم أحد كبار الجزارين أن جسد العبقرى لن يدفن إلا فى المقبرة التى أعدها له، وكان قد أعد فى صمت وبـلا ضجيج مقبرة عظيمـة تليق بعظمـة الـراحل الكـريم، وأصر الجزار الطيب على أن يحمل نعش الشيخ بنفســه إلى مثـواه الأخير .

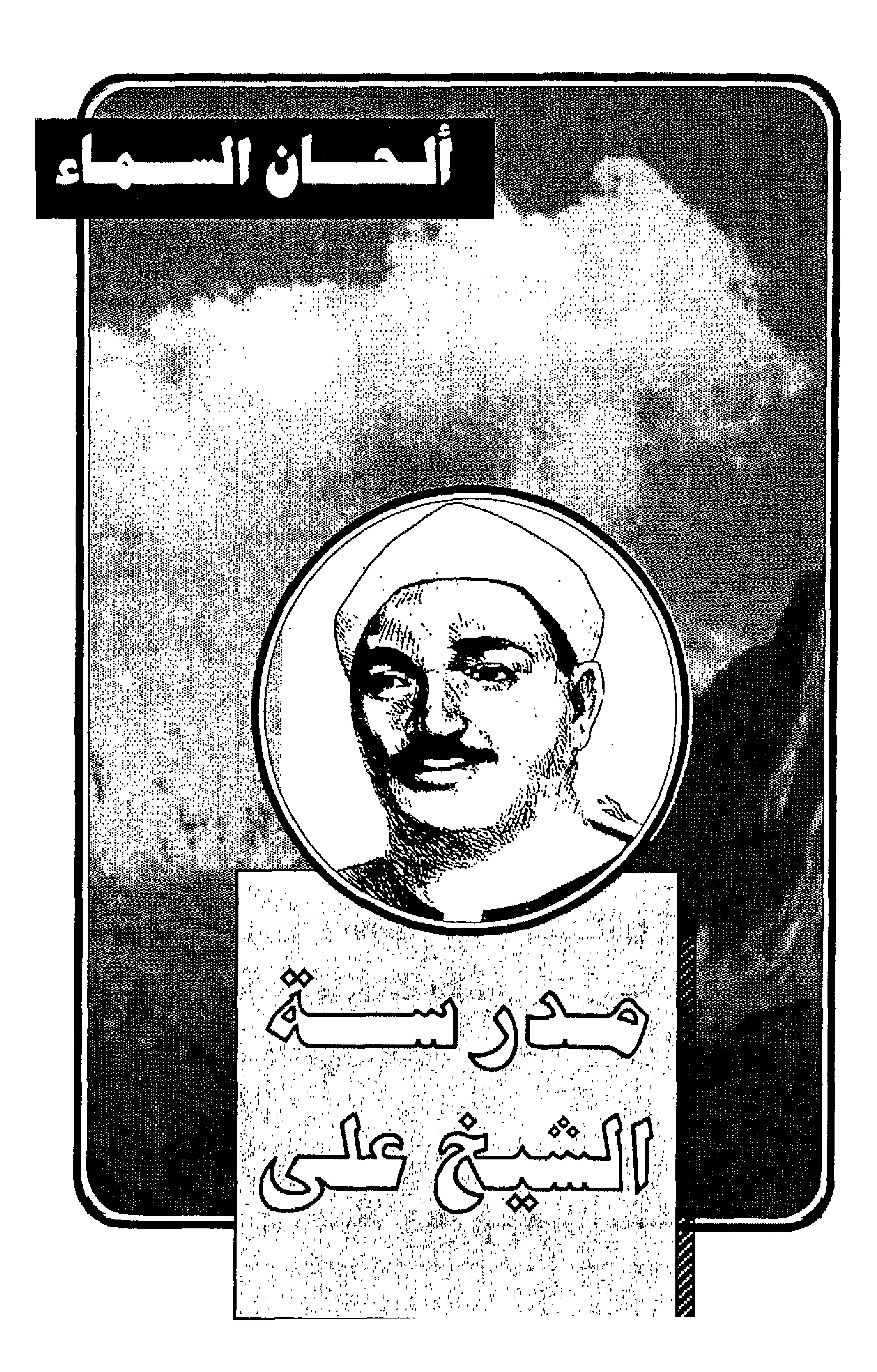
ووفد على ماتم الشيخ آلاف مـن مختلف أنحاء البلاد لم تكن لهم صلات بالشيخ إلا صلة التقدير والاعجاب .

ولكن مفتى سـوريـا عنـدمـا سمع الخبر قـال ولحيتـه مبللـة بـالدمـوع: رحم اللـه شبابـه فقد جـدد شبـاب الإسلام، ولايـزال مجهـولون كثيرون يـزورون قبر الشيخ فى صمت ليقرأوا الفـاتحة على روح الفقيد. وإلى عهد قـريب كانت فى العاصمـة وأنحاء أخرى متفرقـة من البلاد مقاه تخصص لمستمعـى رفعت قاعات بـداخلها ليستمتعوا بما تبقى من فن الشيخ فى هدوء .

وقد حدث أن قطعت محطة الاذاعة إرسالها أكثر من مرة لتذيع على الناس بشرى العثور على شريط جديد للشيخ. ويذاع الشريط. ويكون حديث الناس فى كل مكان. وسيظل رفعت حديث الأجيال كفنان عملاق إلى زمن بعيد .

وسيأتى يوم تصبح فيه للفنون الرفيعة الخالدة جامعة، ويكون صوت محمد رفعت على رأس هذه الفنون، والسبب ـ كما أوضحنا من قبل ـ هو أن كل فن خالد جميل يجب أن يستمد وجوده من حياة الناس من فنون الشعب .

ولقد كتبت مرة سابقة عن رفعت، فقلت: إن سبب خلوده يرجع إلى أن صوته كان من السماء، والآن اعترف بخطئى وأعود فأقول : إن سر خلود الشيخ يرجع لسبب واحد . أن صوته العبقرى نبع من آمال الناس والآمهم من أسواقهم وحواريهم . ومن أفراحهم الساذجة، وأحزانهم العنيفة، بعبارة أبسط .. لقد كان صوته من جذور الأرض، كان صوته هو صوت الشعب !


ألحان السماء
مدرسة
الشيخ على

كان لسعد زغلول قارىء خاص هو الشيخ محمود البربرى، وكان سعد زغلول لا يرتاح لسماع أحد سواه، وكان الشيخ البربرى يلقب نفسه «بمقرىء سعد»، ولعله كان القارىء الوحيد الذى لم يكن يلحن فى تلاوته، كان يقرأ القرآن وكأنه يتحدث، وكان يصف تلاوته بأنها القراءة الشرعية الصحيحة .

وكان مغرما بالإعادة .. ولذلك كان يظل أحيانا ساعة كاملة لا يقرأ سوى آيات قليلة. فى عام ١٩١٩ .. اشترك قراء القرآن فى المعركة .

كان الشيخ منصور بدّار يتلو القرآن كل مساء فى الجامع الأزهر .. والشيخ محمود البربرى يقضى أياما بائسة فى السجن، فقد اعتقله الانجليز بتهمة أنه صديق لسعد زغلول، وأنه كان يؤدى له خدمات وطنية، وكان الانجليز على حق، فقد كان الشيخ البربرى يخفى كل مساء وهو خارج من بيت الأمة آلاف المنشورات تحت ردائه الدينى الفضفاض، وذات مساء اكتشف الانجليز السر عندما كان الشيخ

البربرى.. يجتاز بوابــة « بيت الأمة »، وقد نسى إحكام إغلاق جبته وانهالت من داخلهـا مئات المنشورات على الأرض .

وفى السجن كان الشيخ البربرى يجمع حـوله كل المسجونين بتهمة الوطنية.. ويظل الساعات الطـوال يقرأ لهم بصوته الشجى حتى أقلق ذلك خاطـر الإنجليز فحبسوه فى زنـزانة منفـردة.. ولكن هذا لم يمنع الشيخ البربرى مـن مواصلة القـراءة وهو داخل الـزنزانـة، وبصوت أعلى ليتمكن كل من فى السجن من سماعــه، وظل الشيـخ البربرى يقــرأ فى ذكرى سعد كل عام حتى مات، وربح فى حياته كثيرا ولم يترك خلفه شيئـا، وعندمـا نفى سعـد إلى مالطـة، قـدم الـرجل نفسه لسلطـات الاحتـلال طـالبا نفيــه مع الـزعيم ليقــرأ له القـرآن هنـاك، ورفضت سلطـات الاحتلال عـرض الشيـخ البربـرى، ولم يكتف بهذا، بل راحت تطارده فى رزقــه، وكان المأتم الذى يسهـر فيه تحيطه دائما مجمـوعة من جواسيس الإنجليز، واستغل الوطنيون الفـرصـة فكانوا يستدعون الشيخ البربرى ـــ عدو الإنجليز ـــ دائما فى مآتمهم، بل كانـوا يقيمون أحيانا مآتم وهمية ليسهر فيها الشيخ نكاية فى الإنجليز..

ومات الشيخ البربرى بعد أن عمر طويلا.. وكان على رأس المشيعين لجنازته مكـرم عبيد.. فقد كان تلميذا له فى أيـام مضت.. أيام الثورة.. وقليلون يعـرفون أن مكـرم عبيد كـان يقرأ القــرآن وبطريقــة الشيخ محمود البربرى، ولم يكن للشيخ تلاميـذ سوى رجلين، أحدهما مكرم عبيد، والثـانى كان يقــرأ القرآن فى جـامع الخازندار، وبنفس طـريقة الشيخ البربرى.. واسمه الشيخ سعيد نور.

●●●

قصة كفــاح الفتى الريفى الصغير الذى هــاجر من قريتـه شعشاع بـا لمنوفيـة إلى القاهـرة عام ١٩١٥، ليقــرأ القرآن فيهـا بصوت قـوى

جميل، قصة حافلة تستحق التسجيل، ومنذ ذلك العام، عام ١٩١٥، والشيخ الشعشاعي يقرأ باستمرار، وهو يصعد السلم درجة درجة.. حتى بلغ في النهاية آخر درجات السلم وحوله هالة ضخمة من المجد، وفي يمينه ثروة طائلة عبارة عن مجموعة من الأسطوانات بصوته القوي، ومجموعة أخرى من الأسطوانات بأصوات العباقرة الذين عاصروه.

بدأ الشيخ الشعشاعي مع أحمد ندا وعلى محمود ومحمد رفعت ومحمد الصيفي، وبدأ مثلهم بأجر خمسين قرشا في الليلة الواحدة، وشهد خلال تاريخه الطويل أياما حافلة، قرأ في مآتم ثروت وعدلي وسعد زغلول ومحمد محمود وأحمد ماهر والنقراشي، واشترك مع ثلاثة غيره في إحياء ليالي مأتم الملك فؤاد، وطار من مصر إلى العراق ليقرأ في مأتم الملكة الأم، وبدعوة من الحكومة العراقية.

واشترك مع الشيخ محمد رفعت في آخر ليلة للشيخ رفعت قبل أن يدهمه المرض الخطير الذي قضى عليه، وأتيحت له فرصة لم تتح لغيره من القراء، فقد أدى فريضة الحج ، وقرأ القرآن بعد صلاة المغرب في الحرم النبوي، وكان المسجد النبوي يضيق بمئات الألوف من المصلين من كافة أنحاء العالم الإسلامي.

وقد أذاع الشيخ من جميع محطات الإذاعة العربية في العالم، وهو يقرأ سورة الكهف أسبوعيا ــ كل يوم جمعة ــ في مسجد السيدة زينب، وهناك كثيرون من القراء الجدد الذين يتعصبون للشيخ ويفضلون صوته على جميع الأصوات، وكان الشيخ الشعشاعي يتساوى في المرتبة والأجر مع الشيخ رفعت، والشيخ على محمود، وكان أجرهم ٢٥ جنيها في الساعة، و١٠٠ جنيه في الليلة، ومع ذلك ابتعد الشيخ الشعشاعي عن محطة الإذاعة المصرية فترة، لأن أحد موظفيها وجه إليه عبارة اعتبرها الشيخ إهانة له، والشيخ الشعشاعي

عاش طويـلا، وعلى الرغم من ذلك ظل محتفظا بصـوته العميق القوى حتى مات، وكان باسـتطاعته ـ وبـدون مكبر صوت ـ أن يقـرأ فى عدة ألوف من الناس ولساعات طويلة دون أن يحس إرهاقا.

وللشيخ الشعشـاعى لون خـاص فى التلاوة فهـو لم يقلد أحـدا من القـراء الـذين سبقـوه، كما أنه لم يظهـر حتى الآن من حـاول تقليـد صوت الشيـخ، والسبب، هو أن الطريقـة التى يقرأ بها الشيـخ تحتاج إلى صوت قوى فتى.

ومأأنـدر الأصوات القـوية فى دولـة القراء، ولقـد سار ابنـه الشيخ إبراهيـم على طريق والـده، وقرأ بأسلـوبه عنـدما حل محلـه فى قراءة سورة الكهف يـوم الجمعة فى مسجد السيـدة زينب، ولكن الابن رغم تفوقه واجتهاده لم يصل إلى الذروة التى وصل إليها والده العظيم.

ولقد حاول البعض التفريق بين الشيخ رفعت والشيخ الشعشاعى، ولكن المحاولات كلها فشلت، وعندما سـألته بعد موت رفعت عن رأيه فى صـوت الشيخ، كان جـوابـه: صوت رفعت نـادر وكلنـا فى خدمـة القرآن.. وكان بسيطـا فى معيشته، متواضعا فى سلوكـه، وكانت أمنيته أن يقرأ مـرة أخرى فى الحرم النبـوى، وحولـه مئات الألـوف من أبناء العالم الإسلامى.

●●●

واحـد فقط فى مصر يستطيع أن يـزعـم بحق أنـه تلميـذ الشيخ على محمود، فقد عـاصره مدة طويلة من الـزمان كأحد أفراد بطـانته، ذلك الرجل هو الشيخ طه الفشنى.

اتصل الشيخ طـه الفشنى بـالشيخ على محمـود، والأخير فى قمـة مجده، وكـان الشيخ طه شـابـا صغيرا يقرأ القـرآن أحيـانا، وينشـد التـواشيح أحيـانـا أخـرى، ثم لم يلبث أن بهره صـوت الشيخ على محمود وطريقته الفـذة فى الأداء، وما يتمتع به من صوت عميق رهيب يهز وجدان الناس.

وطاف الشيخ طه مع الشيخ على مناطق مصر كلها، وسهر معه الليالى الطوال، وعاش معه حياته المجيدة الحافلة، وفى ليلة من ليالى عام ١٩٣٩، قدم الشيخ على تلميذه الأول للجمهور فحل محله فى ليلة خالدة فى حياة الشيخ طه، واستقبله الناس بالتقدير.. فقد كان الشيخ طه أقدر الناس على استيعاب طريقة أستاذه، ومن ثم أقدرهم أيضا على أن يسد الفراغ الكبير الذى سيخلفه الشيخ على محمود.

وفى عام ١٩٤٢ ، أصبح للشيخ طه فرقة يرأسها، ولمع نجمه سريعا فأذاع من محطة القاهرة، ومن محطات الإذاعات الخارجية، ولم يكتف بالتواشيح.. بل ظل يقرأ القرآن شأنه فى ذلك شأن الشيخ على، وارتفع أجره بعد ذلك إلى عشرة جنيهات فى الإذاعة، وثلاثين جنيها فى الليلة الواحدة، وعندما مات الشيخ على ـ قفز أجره إلى مائة جنيه فى الليلة، إذ لم يعد أحد هناك سواه.

والشيخ طه الفشنى كان فى الثانية والأربعين من عمره يعيش فى بيته بمصر الجديدة، وله بيت آخر هجره منذ عدة أعوام فى الحارة التى كان يسكن فيها الشيخ على محمود، والشيخ محمد سلامة.

وأعظم الأصوات بالنسبة إليه هو صوت المرحوم الصيفى، والشيخ محمد رفعت، ويصفه بأنه فلتة لن يجود بمثلها الزمان.

وهو من عشاق صوت الشيخ مصطفى إسماعيل.. ومن أشد الناس إعجابا بطريقة الشيخ الصيفى فى الأداء.. حدث مرة أن كان الشيخ طه ينشد التواشيح فى ليلة مولد بديروط.. وعندما جاء عند مقطع «استقر به المقام»، أقسم أحد العمد الجالسين بالطلاق أن يظل الشيخ يردد هذا المقطع حتى الصباح.

وظل الشيخ الفشنى يردد المقطع حتى بزغ نور الفجر، ثم غادر الصوان على عجل واستقل أول قطار إلى القاهرة، ولكن والحق يقال، كان الشيخ الفشنى هو عمدة فن التواشيح والإنشاد الدينى بعد

الشيخ على محمود، ولكن حظـه فى التلاوة كان متـوسطا، وعندمـا بدأ قلـد طـريقة الشيـخ مصطفى إسماعيل، ولكنه عـدل عنهـا بعـد ذلك وأصبح لـه طابعـه الخاص، وبعد مـوت الشيخ طه الفشنى بسنـوات طويلـة، منحه الرئيس حسنى مبارك وسـاما تقديرا لـدوره المجيد فى خدمة القرآن الكريم.

والغـريب أنـه فى حيـاة الشيخ طـه الفشنى.. لمع فى مجال الإنشـاد الدينى بعـض المشايخ الذيـن أنعشوا هذا الفن وأثـروه، منهم الشيخ عبدالسميع بيومـى، والشيخ محمد الفيومى، أحد أفـراد بطانة الشيخ على محمود، والشيـخ محمد الطوخى، وهـو علم من أعلام هـذا الفن، على الـرغم من أنـه يعيش بنصف كلى، ثم جـاء الشيخ النقشبنـدى ـ يرحمه الله ـ وقـد بهر النـاس بأدائه الرائع وبصوتـه الواضح القادر على الأداء فى كل المقامات، ثم جاء نصر الدين طوبار..

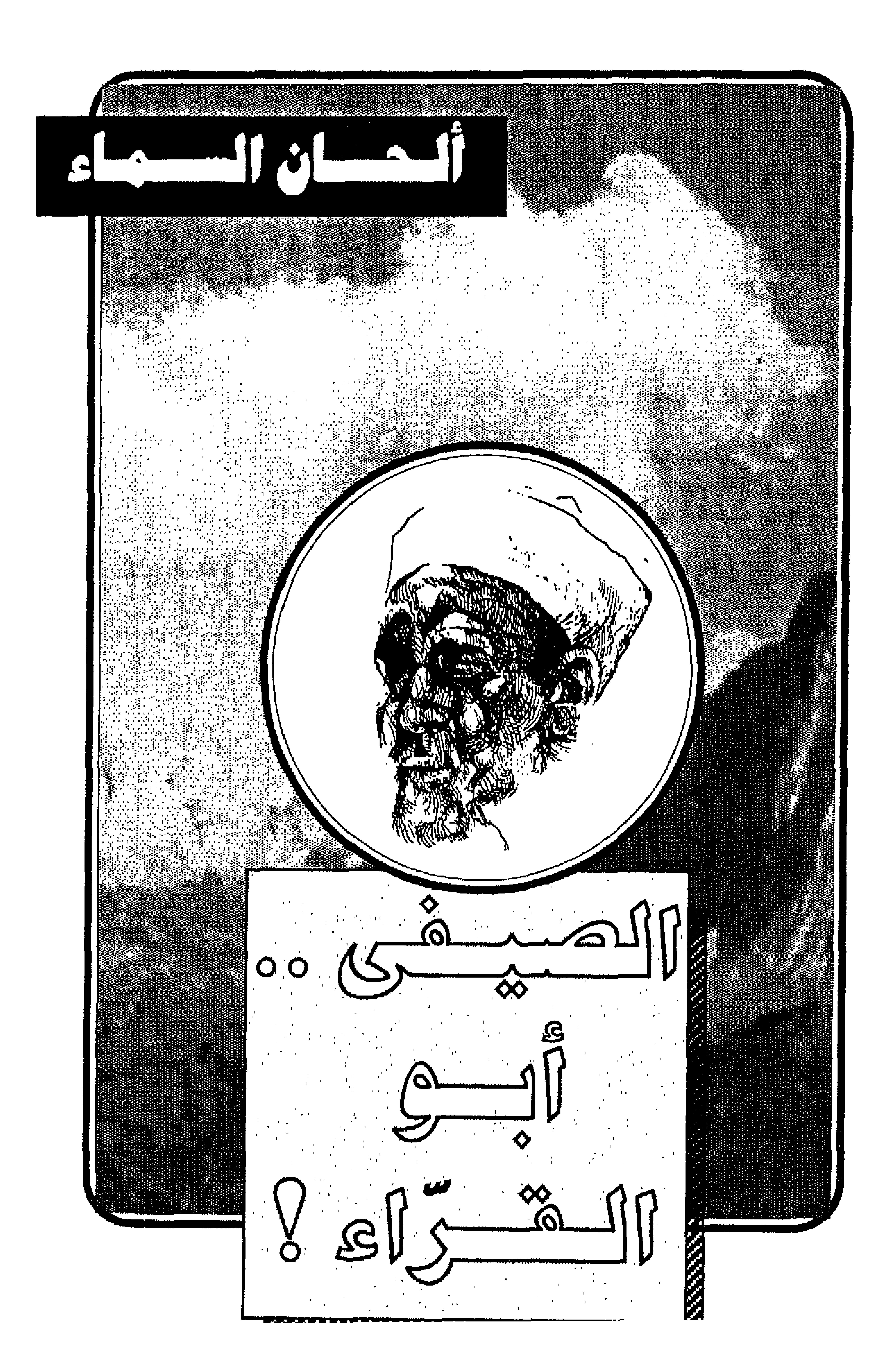
وقـد تأثر نصر الـدين بطـريقة دراويش الطـرق الصـوفية، وكـان الفضل فى ظهـوره وانتشـاره للفنـان زكـريـا الحجـاوى، لم يبق من الرائحة الحلوة القديمة إلا الشيخ محمـد عمران، وبوفاته نستطيع أن نقول إن دولة الإنشاد الدينى والتواشيح صارت إلى زوال!

وأغرب شىء أن مـوت الشيخ محمد عمران آخر العنقـود فى مدرسة الشيخ على لم تشر إليه أية جريدة أو مجلـة، ولم يذع خبر وفاته فى أية إذاعة، حتى صديقه الحميم جلال معوض سمع الخبر من العبدلله بعد شهر من وفاته، والعبدلله عرف الخبر بالصدفة من قارىء صديق بعد ثلاثة أسـابيع من رحيله، وهو دليل أكيد على أن العملة الـرديئة تطرد العملة الصحيحة من السوق، وعلى أن الزمن الحاضر فقد موازينه..

والآن أصبح أى شىء مثل كل شىء، وحل مخبأ التليفـزيون الـذى يطلقـون عليـه (مسجـد التليفزيـون)، من بـاب الـدلع، محل جـامع السلطان حسن، والأزهر الشريف، وجامع السلطـان أبوالعلا، وجامع

السيدة زينب، وجامع الرفاعى، وجامع شيخ العرب أحمد البدوى، وجامع المرسى أبو العباس.

والآن.. لا أحد يدرى إلى أين نسير؟! بعد أن أصبحت التلاوة بالواسطة، والإنشاد الدينى بالحلوانى، وانعدمت الفروق بين المشايخ الذين يسرحون على المقابر، والمشايخ الذين يسرحون فى أروقة التليفزيون، و.. ليس لها من دون الله كاشفة ، والأمر لله من قبل ومن بعد؟!!!


ألحان السماء
الصيفى ..
أبو
القرّاء !

ثـلاثـة فقط من القـراء ظهروا مع بـدايـة العصر الـذهبى لدولـة التلاوة.. المشـايخ: محمـد سلامـة، ومحمـد الصيفى، وعبـدالفتـاح الشعشـاعى، وكـان الشيخ الصيفى أولهم، إذ ذاع صيتـه بعـد الشيخ أحمد نـدا والشيخ على محمـود، وفى نفس الـوقت الـذى ذاع فيه اسم الشيخ محمـد رفعت، وقـد نشأ الشيخ الصيفى فى حـارة واحـدة مع الشيـخ نـدا، والشيخ سـلامـة، والشيخ على محمـود.. وسكن الحارة قارئ آخر هو الشيخ طـه الفشنى.. وعندما لمع اسم الشيخ الصيفى، كـان الشيخ ندا يتقـاضى جنيهـا كـامـلا فى كل ليلـة، كـان ذلك عـام ١٩١٥، والحرب العظمى نـاشبة، ومـوجـة الإفـلاس تدمـر بيوت تجار القطن وملاك الأرض.

وكـان الشيخ محمـد رفعت يتقـاضى فى ذلـك الـوقت خمسين قـرشـا عن كل ليلـة، وكذلك الشيخ الصيفـى، وعندمـا ارتفع أجـر الشيخ ندا، ارتفع أجر كل القراء.. وأصبح الشيخ الصيفى يتقاضى عشرة جنيهات عـن كل ليلة فى عـام ١٩٣٧، وكان واحدا مـن أربعة قراء أحيوا ليالى مآتم الزعيم سعد زغلول، والملك فؤاد.

وكان هو القارىء الوحيد الذى رفض أن يقرأ فى قصر فاروق فى أشهر رمضان الخالية، وذهب إليه ناظر الخاصة الملكية يستفسر منه عن سبب الرفض.

وأجاب الشيخ الصيفى: بأن صحته لاتساعده.

وقال ناظر الخاصة: ولكن مولانا يحب أن يسمعك، فرد عليه الصيفى فى هدوء: ولكننى أقرأ فى الراديو، ويستطيع مولانا أن يسمعنى جيدا، وعندما مات الشيخ على محمود، وكان قارىء المسجد الحسينى، أصبح الشيخ الصيفى قارئا للمسجد، وكان للشيخ الصيفى رأى فى القراء، ولكنه كان يحتفظ به لنفسه، ولا يعلنه على الناس.

قال لى ذات مرة : إن أعظم الأصوات التى سمعها فى حياته هو صوت الشيخ محمد القهاوى، والشيخ منصور بدار، ويأتى بعدهما الشيخ مصطفى اسماعيل، سألته: ومحمد رفعت؟! فقال على الفور: صوت محمد رفعت لم يكن كبقية الأصوات تجرى عليه أحكام الناس، لقد كان هبة السماء.. والشيخ الصيفى كان صديقاً للمرحوم الشيخ محمد رفعت حتى مات، وكان هو الوحيد من بين القراء الذى لازمه أربعة أيام كامل قبل أن يموت.

وربح الشيخ الصيفى كثيراً وأنفق كل ما ربحه على أبنائه، وعلى أصدقائه، وله ابن عمل مخرجاً فى السينما هو الاستاذ حسن الصيفى، وعاش ومات فى نفس الحارة التى نشأ فيها مع الشيخ ندا، والشيخ على محمود، والشيخ محمد سلامة، وفى حجرة الاستقبال فى منزله صور كل هؤلاء الاعلام.

ومعها أيضا صورة المرحوم الشيخ سيد درويش، وقال لى الشيخ الصيفى وهو يتأمل فى الصورة جيدا : هذا الرجل ـ يقصد سيد درويش ـ أحدث انقلابا فى فن الموسيقى.. وهذا الرجل ـ

يقصد الشيخ على محمود ـ أحدث انقلابا آخر فى فن الموشحات، وقد مات الشيخ الصيفى فى السبعين من عمره .. وقبل ذلك اعتزل إحياء الليالى، واكتفى بقراءة سورة الكهف فى مسجد الامام الحسين، ولقبه فى دولة التلاوة أبو القراء!

الشيخ القهاوى

سألت الشيخ رفعت مرة قبل وفاته: أى واحد من القراء تحب سماعه أنت يا شيخ القراء؟ وابتسم الشيخ رفعت ـ رحمه الله ـ وأجاب ونفس الابتسامة على شفتيه: لا داعى لهذا الاحراج، إنهم جميعاً مجيدون.

قلت: إذن أيهم أفضل من بين الذين انتقلوا إلى رحمة الله؟ وهنا اعتدل الشيخ محمد رفعت وراح يهز رأسه يميناً ويساراً، وكأنما قد هز السؤال حنينه إلى تلك الأيام البعيدة الجميلة.. أيام زمان.

قال الشيخ رفعت: كلهم كانوا مقتدرين على الأداء، ولكل منهم لون، فلا تستطيع أن تفضل واحداً على الآخر، ولكن كان أجملهم صوتا الشيخ محمد القهاوى، وكان صوته من أجمل الأصوات وأرقها وأعذبها وأشدها حنينا وحنانا وضراعة.

كانت المرة الأولى التى اسمع فيها اسم الشيخ القهاوى، فليست له شهرة الشيخ أحمد ندا، أو الشيخ على محمود، وكانت شهادة الشيخ رفعت وحدها كافية لمعرفة مدى ما كان يتمتع به من جمال الصوت، ولقد ظهر القهاوى فى نفس الفترة التى ظهر فيها الشيخ ندا، والشيخ رفعت، والشيخ على محمود، وغيرهم من الفرسان، ولكن الليالى الطويلة التى سهرها قضت عليه قبل فوات الأوان.

لقد كان رحمه الله ـ فناناً، وكان يعشق الليل، ولم يره أحد فى الشارع قبل الغروب، وربح كثيراً وأنفق ماربحه فى مجالس الاصدقاء.. وكان من أصدقاء الشاعر حافظ إبراهيم، والشيخ

البشرى، والدكتور محجوب ثابت، وكان القراء يرفضون الاشتراك معه فى ليلة واحدة، فقد كان الجمهور يرفض أن يستمع لأحد بعد الشيخ القهاوى، حدث مرة فى حى السلخانة ان قامت معركة فى مأتم كان يقرأ فيه الشيخ القهاوى، مات فيها أربعة، ونقلت عربات الاسعاف أكثر من عشرة إلى المستشفيات، وكان السبب هو الشيخ القهاوى، وسجل محضر البوليس أن المعركة نشبت لأن أحد الفريقين المتنازعين قال كلاماً اعتبره الفريق الآخر ذماً فى الشيخ.

ومات الرجل وهو فى قمة مجده، وكان وقتئذ فى التاسعة والأربعين، ولم يترك خلفه اسطوانة واحدة تسجل صوته، وكان أداؤه غريباً كصوته، يبدأ بطبقة عالية، وبإلقاء سريع، ثم ينتهى إلى عذوبة وطبقة خافتة مع مد طويل عند خاتمة الآية، ومن الذين قلدوا طريقته الشيخ محمود على البنا، مع أن الشيخ البنا لم تتح له فرصة الاستماع إلى صوت الشيخ القهاوى.

وقال لى الشيخ الصيفى، وهو يتحدث عن الشيخ القهاوى.. رحمه الله: إن كل الاصوات التى سمعتها والتى ستسمعها من خشب، وصوته وحده كان من الذهب، ولكن صاحبه انصهر فى بوتقة الليالى.. ومات قبل الأوان!

صوت من الغابة

كان فى جامع الخازندار رجل اسمر اللون يقرأ القرآن بطريقة غريبة كلها شجن تستدر الدموع من العيون التى لم تعرف طعم الدموع قط، هذا الرجل اسمه الشيخ سعيد نور.

وبالرغم من أن الرجل لم يقرأ فى الاذاعة الا مرة واحدة، إلا أنه يتمتع بشهرة تفوق شهرة بعض قراء الاذاعة، وسر شهرة الشيخ سعيد أنه يقرأ القرآن بطريقة تختلف عن الطريقة المعروفة.. طريقة القراءات.

وبهذه الطريقة نفسها كان يقـرأ قارىء آخر من قبل هو الشيخ محمود البربـرى، وتسرى بين العامة شـائعة ان هذه الطـريقة هى وحدها الطريقة الشرعية التى يرضاها المحافظون، المهم أن الطريقة التى يقرأ بها الشيخ سعيد نور طريقة عجيبة تثير فى نفوس الناس عواطف شتى.. من الطرب والخشـوع والإيمان، وأيضاً تستدر من عيـونهم الدمـوع الحزينة، والسبب الـذى من أجله لم يقـرأ الشيخ سـعيد فى الاذاعـة ، أن صوتـه ـ رغم جمـاله ـ يكـاد لا يصـلح للميكرفـون،وهناك أصـوات غايـة فى الرقـة والجمال، ولكنها أمـام الميكروفون تختلف عن طبيعتها.

ويبـدو أنه من بين هـذه الأصـوات صـوت الشيخ سعيد نـور، والمحطـة الـوحيـدة التى تـذيـع لـه هى محطـة المملكـة العـربيـة السعودية، وشهـر رمضان هو أنسب الشهور لسماعهـا جيداً قبل السحور بـالنسبة لسكـان مصر، ولم يعرف عن الشيخ سعيـد أنه ابداً حدد أجـرا له، وهو يتناول الأجـر الذى يدفعه صـاحب الليلة دون نقـاش، وتتعصب لصـوت الشيـخ محافظـات بأكملهـا، وعلى رأسهـا جميعاً محافظـة المنوفيـة، ولعل السبب يـرجع إلى أن أغلب سكان حى شبرا ـ حى الشيخ سعيـد ـ من قرى المنوفيـة، وقد قرأ الشيخ مع المشـايخ الكبار قبل الحرب الأخيرة، قـرأ مع الشيخ على محمـود، والشيخ محمـد رفعت، وبـدأ هـو الآخـر مثلهم بخمسين قـرشـاً فى الليلـة، ويستمع الشيـخ سعيـد لصـوت الشيخ رفعت، ويفضله على كل الاصوات.

ويعتبر الشيخ الشعشـاعى هو أعظم القـراء بعد رفعت، وكـذلك مصطفى إسماعيل، وأبوالعينين شعيشـع، وقـد كان الـرجل الأسمر يعيش عيشـة بسيطة فى شبرا، أمـا هوايته الـوحيدة فكـانت سماع الاسطوانات القليلة الباقية للشيخ محمود البربرى!

ولكن يبـدو أن الشيخ سعيـد لم يقتنـع بأن صـوتـه لا يصلح لـلاذاعـة، ولـذلك هـاجـر من مصر واستقـر فى الكـويت فى فترة الستينيات، وسجلـت إذاعة الكويت القـرآن الكريم بصـوت الشيخ سعيـد، وتذيع لـه مـرة كل اسبوع فى فترة الفجـر، وقضى الشيخ سعيد بقية حياته فى الكـويت حتى اختاره الله إلى جواره، ولكنه ترك ثروة روحية غـالية بتسجيلاته للقـرآن الكريم، ولكن لسوء الحظ.. كـانت اشرطتـه ضمن الأشرطـة التى اختفت مـن أرشيف الاذاعـة خـلال فترة احتـلال الاشـاوس.. وحكـومـة الكـويت تتهم جيش الاشاوس، وحكـومة الاشـاوس تنفى اتهامات الكـويت، وأين ذهبت الاشرطة؟! العلم عند علام الغيوب!

ألحان السماء

التلاوة على الركبتين

اسمــه الشيخ محمد ســلامــة، ومــات وهو فــوق الثمانين بسنــوات، عـــاصر الفترة الــذهبيـــة لعصر التــلاوة أيــام الشيخ على محمــود وغيره، ونــال من الشـهــرة والمجـد مــا لم ينلــه قــارىء من قبل حتى ولا الشيخ أحمد نــدا ، وذاع صيتــه عن غير طــريق الاذاعــة، فقد ظل أعــواماً طــويلــة يؤمن بأن إذاعــة القــرآن حرام، ولــذلك حــرم من الثــراء الــذى نالــه أمثالــه، ولكنه عــاد فى عام١٩٤٨، وأذاع مــن محطة القاهرة ، غير أن الزمن الطويل الــذى عاشه كان قد أثر فى صحته وفى صــوته، فاضطر إلى القــراءة أمام الميكروفون عدة سنوات.

وقــد بدأ الشيخ ســلامــة يقرأ فى عــام١٩١٠، وكــان يسكن مع المشايخ أحمد نــدا والصيفى، وعلى محمود فى حــارة واحدة فى حى العبــاسيــة، وكــان الشيخ أحمد نــدا أسبقهم فى الظهــور، ثم تبعــه الشيخ ســـلامـــة على الفــور ولمع نجمـــه قبل أن يظهـــر الشيخ الشعشــاعى بسنــوات، وســـافــر إلى فلسطين بعــد الحرب العظمى الأولى، وقضى فيهــا أعوامًــا ثم عاد إلى مصر من جــديد.. وحــاولت إذاعة فلسطين تسجيل عدة أشرطة له، ولكن محــاولاتها ذهبت عبثاً، فقد كان الشيــخ يعتقد ـ كما قلت ـ ان اذاعــة القرآن حرام، ويعتبر

الشيخ سلامة صاحب مدرسة مستقلة فى الأداء، كما أنه كان يتمتع بصوت مميز ليس لـه نظير بين أصوات القراء. وظل يعيش فى نفس الحارة التى نشأ فيهـا مع الشيخ نـدا وعلى محمـود والصيفى، الحارة الضيقة المسـدودة بالعباسيـة والتى هجرها الجميع مـاعدا الشيخ الصيفى والشيخ سلامة.

ولعل الشيخ سلامة هو القارىء الوحيـد الذى كان يقرأ جالسا على ركبتيه كأنـه فى حالة ركـوع أثناء الصـلاة، وكان إذا انتقل من طبقـة القـرار إلى طبقـة الجواب هب واقفـاً على ركبتـه فى حـركـة متوافقة مع الطبقة التى ارتفع إليها.

وكان الشيخ سـلامة لا يخفى استنكاره للطريقـة التى يقرأ بها الشيخ مصطفى إسماعيل. وكان يؤمن بأن قـراءة القرآن تحتاج إلى صوت قوى ووقور، أما الصوت «الحلو» فليس مستحبًا فى التلاوة! وكان هذا هـو رأيه أيضاً فى صوت الشيخ عبدالبـاسط عبدالصمد، أما الصـوت المفضل لديـه فكان صوت الشيـخ الصيفى، وكان من رأيه أن صوت الشيخ زاهر «مش بطال!»

وآخر مرة استمعت فيها إلى الشيخ سـلامة كانت فى مأتم والدة الحاج سيد مخيمر بالجيـزة، وحدث أثناء التلاوة أن انصرف بعض الجالسين، وهنـا قطـع الشيخ تـلاوتـه ، وأعطى الحاضرين فى السرادق درساً فى آداب الاستماع إلى القـرآن الكريـم، وعندمـا مات الشيخ محمـد سلامـة، كـان فى حكم المجهول بـالنسبـة للأجيـال الجديـدة، وهى الأجيال التى كـان يطلق عليها الشيخ لقب: أجيـال عبدالحليم حافظ!

استطاع رجل واحد فى دولة القراء أن يظل فى منطقته لا يبرحها، ومع ذلك فقـد وصل إلى الشهـرة وإلى المجد واستطـاع أن يفـرض اسمه على كل لسان.. ذلك هو الشيخ منصور الشامى الدمنهورى،

وفى دولـة القـراء رجـلان لم يبرحـا منطقتيهما أيضـاً، هما الشيخ صـديق المنشـاوى والشيخ محمـد مجد، ولكنهما لم يبلغا مكـانـة الشيخ منصور الشامى من حيث الشهرة والثراء.

نشأ الشيخ منصور وعـاش فى دمنهور وذاع صيتـه من المدينة الصغيرة ومـا حـولها، ولم يلبث أن غادرهـا وهـو فى العشرين من عمره إلى الاسكندرية مسقط رأس سيد درويش..

ذاع صيت الشيخ وأصبح علما على دولـة القراء هنـاك، واتصل فى شبابـه بالمشـايخ محمد رفعـت، وعلى محمود ومنصـور بدار.. واعجب الشيخ محمد رفعت بصـوته وشهـد له بالتفـوق والنبوغ، وقرأ معـه فى ليلة واحـدة فى احتفال كبير بـالاسكندريـة، ومنذ تلك الليلة ومنصور الشامى الدمنهورى يجرى على طريق الشهرة وهو يلهث من الاعياء، فقـد كان يكفى أن يقـرأ الشيخ رفعت مع قارىء صغير حتى يصبح اسم الأخير على كل لسان.

وفى عـام١٩٤١ عين الشيخ منصـور قـارئا لمسجـد سيـدى أبى العبـاس المرسى بـالاسكنـدرية.. وكـانت الصحـراء المحيطـة بالمدينـة تشهد لونا من الصراع الـرهيب بين جيوش هتلر الـزاحفة والجيش البريطـانـى الـذى انطلق فى الصحـراء العـريضـة نحـو الاسكندريـة. ومرت لحظـات حرجـة وخطيرة على المدينة والجنـود الألمان على بعد خمسـة عشر ميلا منهـا.. ومدافعهم الثقيلـة البعيدة المدى تضرب أطراف المدينة ليل نهار.. وغادر الانجليز المدينة، ومن ورائهم سكـانها جميعاً، ولكن الشيخ منصـور رفض ان يغادرهـا وأصر على البقاء بجوار سيدى المرسـى ليقرأ داخله القرآن. وانهزم رومل وانتحـر هتلر. وبقى الشيخ منصـور يقرأ فى مسجـد سيدى أبى العباس.

وفى عام١٩٤٥ قـرأ الشيخ منصور لأول مرة فى الاذاعـة وبأجر خمسـة جنيهـات، ثم لم يلبث أن ارتفع أجـره إلى عشرة ثم خمسـة

عشر جنيهاً عن كل إذاعـة، وكان يذيع فى نفس الـوقت من محطات لندن وسوريا والشرق الأدنى وباكستـان، وقد توفى الشيخ منصور إلى رحمة الله منذ زمن طويل، ولكن صوته القـوى وطريقته الفريدة فى الآداء لا يزال صداها يرن فى أسماع الـزمان، ومع انه لم يشتهر كثيراً ولم يحقق من احتراف التـلاوة مـا حققه غيره من القـراء، إلا أنه كان على عكس زميله الشيخ سلامـة قانعاً بما وصل إليه، وكان يردد دائماً مقولة تعبر عن رضـائه بما وصل إليه: الصوت هبة من عنـد الله، والهبة هى نـوع من الـرزق، والله سبحـانه وتعـالى قسم الارزاق بين النـاس، وفضل بعضهم على بعـض. وكـان يقـول: إن الشيخ رفعت رزقـه كبير، ورزقى متوسط ، وهنـاك آخرون رزقهم قليل، وعلى كل مرزوق ان يرضى برزقه!

وكان شديـد الاعجاب بصوت الشيخ مصطفى إسماعيل، ويعبر عن اعجابه بقوله: إن الله سبحانـه اعطاه حلاوة فى الصوت، وابداعاً فى الاسلوب، وإنه عطية السماء لـدولة التلاوة، ولم يكن له نظير فى الماضى ولن يكــون لـه مثيل فى المستقبل! ولعل الشيـخ منصـور الشامى الـدمنهورى من القـراء القلائل الذى كـان يحرص الاقباط على سماعـه، فقـد كـانت طـريقتـه فى الأداء تقترب من أداء تـرتيل المنشدين فى الكنائس، رحم الله الشيخ منصور الشامى الدمنهورى، إحدى القمم الشامخة فى دولة التلاوة!

● ● ●

فى مأتم المغفور لـه محمود فهمى النقراشى، جلس كبـار رجال الدولـة وقتئذ يستمعون فى خشوع إلى آيـات الذكر الحكيم، يـرتلها رجل فى الخامسـة والأربعين من عمره تـرتيلاً حسنـاً، وفى صوتـه نبرة غريبـة تحرك الشعور وتهز الوجدان.. وسـأل رئيس الحكـومة وقتئذ عن اسم هـذا القارىء، فقـالوا له: انـه عبدالـرحمن الدروى، وقال رئيس الـوزراء إبراهيم عبدالهادى: ولماذا لا يقـرأ فى الاذاعة؟

ومن ذلك الحين ظل الشيخ عبدالرحمن يقرأ فى إذاعـة القاهرة، وبدأ بأجـر خمســة جنيهـات عن كـل اذاعـة، ثم ارتفع أجـره إلى عشرة جنيهات، ثم خمســة عشر جنيهاً، وقفـز أجره فى الليلة الـواحدة إلى ثلاثين جنيهاً، ثم إلى خمسين جنيهاً، وعـاش الشيخ الدروى متنقلاً بين القاهرة وقريته الصغيرة دوره فى المنـوفية، وقليلون يعلمون ان الشيخ الـدروى كـان يعمل مأذونـاً بقريتـه، وأن كل الـزيجات فى منطقته تتم على يديه، لأن الأهالى فى تلـك المنطقة يتفاءلون بالشيخ الدروى ويعتقدون ان السعادة الزوجية تصاحب زبائنه.

والشيخ الـدروى يتمتع بصـوت يصفـه خبراء الاصـوات بأنـه متـوسط، ولكنـه رغم هذا يتمتـع «بقرار» سليم ونبرة غـريبـة تهز النفـوس.. ويفضل الشيـخ الـدروى صـوت الشيخ محمـد رفعت وصـــوت الشيخ عبـدالفتـــاح الشعشاعى من القراء الذين سبقوه، ويصف صوت الشيخ الشعشاعى بأنه اعظم الأصوات.

وفى اغلب الليالى كان الشيخ الدروى يسهر فى الليالى التى يقيمها أهل منطقته فى المنوفيـة، وهو لا يتقاضى أجراً من أهـل القرية على الاطلاق، كما انــه لا يتقاضى منهم أجراً على قيـامه بتحريـر عقود الزواج، وهو يقول : ان النبرة الغريبـة التى يتميز بها صوته يتميز بها كذلـك جميع أهل القريـة. وهى نبرة شـجية حزينـة، ربما علقت بأصـوات أهل القرية مـن الواقع الحزين الـذى تعيش فيه القـرية الصغيرة الـواقعة على شـاطىء الـريـاح المنوفى الحبيب، وإذا كـان الشيخ الدروى قد ذاع صيتـه بعد وصوله إلى ميكـروفون الاذاعة، إلا انـه كان يـرفض إحياء الليـالى فى المنـاطق النائيـة، ولكنه كـان حريصاً على تلبية الدعوات التى تصلـه من أهالى المنوفية والقليوبية والغربية. كما كان حريصــاً على الاشتراك فى ليالى مولد السيد أحمد البدوى.

وكان يتردد أحياناً على مسجد السيدة نفيسة ليصلى العشاء فى ركن منعزل، ولكنه كان يضطر إلى التلاوة إذا تعرف المصلون عليه. وكان يشعر بسعادة لا مثيل لها وهو يقرأ للناس الطيبين الذين يتصادف وجودهم فى المسجد ذلك المساء، وعاش الشيخ الدروى حتى مات، وله هواية واحدة هى الاستماع إلى تسجيلات الشيخ على محمود والشيخ محمد رفعت، وحضور الليالى التى يحييها الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى. وكان متيماً بصوت الشيخ عبدالعظيم زاهر، ومعجباً بصوت الشيخ محمود عبدالحكم!

ألحان السماء

حكاية الثلاثة الكبار

فى دولة التـلاوة أصوات لم تـرتفع إلى القمة التى ارتفع إليهـا محمـــد رفعت، وأحمد نـدا، ومصطفى إسماعيل، ولكنها استطـاعت أن تدخل التـاريخ، وأن تنقش اسمهـا على جـدار الـزمن، وعلى رأس هـؤلاء ثلاثـة من أعظم القراء ، كان لكل منهم لـون خاص ومذاق مختلف.

الشيخ عبدالعظيم زاهـر والشيخ أحمد سليمان السعـدنى والشيخ محمـد فـريد السنـديـونى، أمـا الشيخ عبدالعظيم زاهـر فقـد كان نسيجـا وحـده، لم يقلد أحـدا، ومن الصعب تقليده، وصوته عـلامة من عـلامـات رمضـــان كما صـوت الشيخ محمـد رفعت، وقد حفظ القرآن، ثم انطلق يقرأ فى المآتم وفى الحفـلات الدينيـة، واشتهـر بسرعة البرق، وفـرض نفسه على دولـة التلاوة كـواحد من نجـومها، ولكن طريقته الخشنة فى التعـامل مع الناس والحياة، ربما هى السبب فى تعثره وعـدم وصولـه إلى القمة، ولكن عـدم وصـوله إلى القمـة لاينفى أنـه كـان صـاحب

صوت من أجمل الأصوات التــى سمعناها فى العصر الحديث، وصــاحب طـريقة فى الأداء ليس لها شبيــه على طول الزمن.

كان صاحب صوت مقتـدر على الأداء الممتاز فى جميع المقامات ، وكما كـان مقتدرا فى طبقــة الجواب وجـواب الجواب ، كان مقتـدرا أيضا فى طبقـة القرار ، وهى ميزة كبرى لم يظفـر بها إلا عدد قليل من القراء ، على رأسهم الشيخ محمـد رفعت ، وبالرغم من شهـرته العريضــة وطريقتـه الفذة ، إلا ان أحـدا من القراء الجدد لم يجرؤ على تقليــده ، رغم أن كثيرين قلـــدوا الشيخ محمـــد رفعت وعلى رأسهم الــدكتــور هيبــة والشيــخ أبــو العينين شعيشع ، ولكن عبدالعظيم زاهر لم يقترب من منطقته أحد حتى هذه اللحظة .

يذكر أن أحد أعيان حى « المدبــح » طلبه للقراءة فى إحدى الليالى فطلب ثلاثين جنيها أجرا عن الليلـة ، وأمهله مدة ساعتين للحضور إليه ودفع المبلغ مقدما ، وبشرط إحضــار سيارة لتوصيله إلى المأتم وإعــادته إلى البيت آخـر الليل ، وكـان مبلغ الثلاثين جنيهـا فى ذلك الزمـان مبلغا جسيما ، حيث كـان فدان الأرض فى المنوفيـة بثلاثين جنيها ، وحــاول أصحاب الليلـة الاستعانــة بقارىء آخـر ولكنهم فشلوا ، فاضطروا مكرهين إلى الاستعانة بالشيخ عبدالعظيم زاهر ، ونفذوا جميــع شروطه ، منحوه المبلــغ مقدما واصطحبـوه معهم فى سيـارة إلى السرادق ، وبعد أن أحيـا الليلـة ، وكان صــاحب الحفل سميعـا كبيرا عاصر مشــايخ كبـاراً مثل الشيخ أحمد نـدا والشيخ القهاوى والشيخ الفيشاوى وتقـدم الرجلَ السميع إلى الشيخ زاهر وصــافحه بشـدة ونقده ثـلاثين جنيهـا أخرى ، وتقـدم أحد أبنـاء الرجل ولفت نظـر أبيه إلى أن الشيخ تقاضى أجره مقـدما ، وأجاب الـرجل فى هـدوء : أعلم ذلك ، ولكـن الشيخ زاهـر يستحق ضعف

المبـلغ الذى اتفق عليـه ، إن صـوته من نسـمات الجنـة .
وقرأ الشيخ زاهر فى سرادق عـابدين داخل القصر الملكى فى ليالى رمضـان المباركة ، وعندما قـرأ فى إمارة عجمان أصدرت طابع بريد يحمل صـورتـه ، وظل الشيخ زاهـر يقرأ مع الكبـار وينـافسهم حتى توفاه الله .
ومنـذ فترة وبعـد وفاتـه بـوقت طـويل، منحه الـرئيس مبـارك وساما فى الاحتفال الـرسمى بليلة القدر، رحم الله الشيخ عبدالعظيم زاهـر، الـذى كان صـوتـه من عجـائب دولة التـلاوة، ومن أعـذب الأصوات التى استمعنا إليها فى الحياة!!

مجرم حرب !!

لعلهـا المرة الأولى والأخيرة التى تعـرضت فيهـا تقاريـر رجـال المخابرات البريطانية خلال الحرب لقـارئ متهمة إياه بأنه يتعامل مع الأعـداء، ففى بدايـة الحرب الأخيرة قالت مخابـرات الحلفاء: إن الشيخ أحمد سليمان السعـدنى القارئ المعـروف يذيع كل مسـاء من محطة بـرلين العربية، وقالـت التقارير أيضا: إن إذاعـة الأخبار باللغة العربية بعد التلاوة مبـاشرة، وقالت التقارير أيضـا : إن عددا كبيرا من النـاس يستمع إلى إذاعـة بـرلين ليتمكن من سماع الشيخ السعدنى، وسمع مصطفى النحاس باشـا ـ وكان رئيسا للوزراء ـ بـالقصة، فأرسل فى استـدعاء الشيـخ، وعندمـا دخل عليه مكتبـه، رفض النحاس أن يصافحه قائلا لـه بلهجته المعروفة: لا.. ده مش كلام.. أنت راجل بتتعامل مع المحور.
وشرح الشيخ السعـدنى للنحـاس كل شىء، واقتنع النحـاس ، فمد يده وصافحه وقال له: الآن اطمأن قلبى.
واصل الحكاية أن بعثـة من الاذاعة الألمانية وصلت إلى مصر فى عـام١٩٣٧، لتسجيل بعض الأغانى والبرامج العـربية، لإذاعتهـا فى

راديو برلين، وقضت البعثة عـاما سجلت فيه كل شىء، ثم رأت أن تسجل شيئـا من القــرآن، فلـم يتسع وقتهــا لأكثـــر من عشرة تسجيـلات كلهـا للشيخ السعـدنى، ونشبت حـرب فى عـام١٩٣٩، واستغلت برلين الفـرصة فراحت تـذيع شرائط الشيخ السعدنى كل مسـاء من محطتهـا العـربيـة. ومـن هنـا جـاء اتهام المخـابـرات الانجليزية للشيخ السعدنى بأنه من عملاء المحور.

وقـد بـدأ الشيخ السعـدنى تلاوة القـرآن الكـريم عـام١٩٢٥، وبأجر قدره خمسون قرشـا فى الليلة، وفى مدينة منيا القمح مسقط رأسه، وفى عـام١٩٣٠ نزح إلى القاهرة حيث أصبح صـديقا للشيخ رفعت والشيخ على محمـود، وفى عـام١٩٣٥ أصبح قـارئا لمسجـد سيدى الشعـرانى، وبدأ نجمه يلمع خلال الحرب من محطـة برلين العربية ومحطة القاهرة.

والشيخ السعدنى كـان فنانـا يحب الاستماع إلى صوت الشيخ محمد رفعـت والشـيخ على محمـود ، وكان أدبيـا أيضا ولـه كتاب (فى خدمـة القرآن)، عرض فيـه لطريقة بعض قـدامى القراء، وشرح فيه مذاهبهم فى التلاوة وطريقتهم فى الأداء.

وعندما كـان الشيخ السعدنى فى الثانية عشرة من عمـره، كانت الثـورة المصريـة عـام١٩١٩ تجتـــاح أرض مصر، وكـانت المراكـز الكبرى تقيم فى كل يـوم مأتما لشهدائهـا، وكان مـركز منيـا القمح يقيم فى كل يوم أكثر من مأتم يقرأ فيه أكثر من قارئ شهير.

وكـان الشيخ السعـدنى يقطع كل مســاء عشرة كيلـومترات من قـريته إلى منيـا القمح ليستمع إلى المشـاهير الـذين جاءوا ليرتلـوا القـرآن، وكان يجلس الســاعات الطـوال على الأرض خلف السرادق ليسمع بعيدا عن العيـون، فلم يكن دخول السرادق مبـاحا لأمثـاله من الصبيـة الصغـار، وذات مســاء بكـى الشيخ السعـدنى وهـو

يستمع إلى الشيخ البربرى وود لويستطيع أن يصافحه ويقبل يده، ولم تتحقق أمنيته قط، وحتى عندما أصبح الشيخ السعدنى رجلا وجاء إلى القاهرة، كان الشيخ البربرى قد انتقل إلى رحمة الله.

فلسطين .. وداعا !!

ظهر الشيخ فريد السنديونى فجأة ثم اختفى فجأة، وظل عشر سنوات طوالا واسمه يدوى كالطبل فى أنحاء البلاد العربية، وكان ظهوره فى بداية عام١٩٣٨، وفى قريته سنديون بالمنوفية، ومن ثم ذاع صيته فى أنحاء المنوفية ثم فى المديريات المجاورة، ثم أصبح الشيخ فريد علما فى مدينة القاهرة.

وفى عام١٩٣٩ أذاع الشيخ لأول مرة من إذاعة القاهرة، وفى عام١٩٤١ كانت الصحراء تشهد حربا عنيفة، وجيوش المحور تمسح رمال الصحراء الغربية بجيوش الحلفاء وأصبح لإذاعة الشرق الأدنى، كان مقرها فلسطين، أهمية بالغة، فاستدعت السلطات الانجليزية الشيخ فريد ليقرأ فيها بصورة دائمة، وسافر الشيخ فريد إلى فلسطين بمرتب مائتى جنيه فى الشهر، وفى عام١٩٤٥ قفز هذا الرقم إلى خمسمائة.

وفى بداية عام١٩٤٧، وكان قد لاح فى الأفق أن الأرض المقدسة ستخضب بالدماء.. استغنت إذاعة الشرق الأدنى عن خدمات الشيخ، فغادرها عائدا إلى القاهرة، وقيل يومئذ أن خلافا قد نشب بين الشيخ وبين مدير الاذاعة الانجليزى حول تصرفات غريبة لم يرض عنها مدير الاذاعة، وراح الشيخ يذيع من محطة القاهرة فترة قصيرة، ثم لم يلبث أن عاد إلى فلسطين مرة أخرى، وكان ذلك فى نهاية١٩٤٧، واتخذ من مدينة يافا مقرا له.

ولكن القاهرة التى علمته وانضجته انكرته عندما عاد، ذهب إلى الاذاعة فى عام١٩٤٩، ليقرأ من راديو القاهرة، ولكن المسئولين رأوا

عرضـه على لجنة رسمية لـلامتحان!! امتحان؟! قـارىء مشهور فى العـالم العـربى احترف القـراءة عشرين عـامـا، ثم بعـد ذلك كلـه امتحان؟! وسكت الشيخ السنـديونى ولم يتكلم، وفى يـوم الامتحان ذهب إلى الاذاعة ودخل الاستديو، بينما كان فى حجرة مجاورة عدة أشـخاص أشبه بمحلفين، فى انتظار اصدار حكمهم، له..أو عليه.

وكـان بينهم المعمم الـذى يفهم سر المهنة، والـذى ليس لـه من مـوهبة إلا صلـة وثيقـة بـالقصر الملكى الذى كـان يحكم البـلاد، واعطيت الاشارة للشيخ السنديونى لكى يقرأ، وبهت الجميع عندما ارتفع صوت الشيخ يلعلع بالغناء، ثم خـرج صائحا من الاستديو: مادام عـاوزين امتحان أنا مستعد أمتحن فى الغنـاء، إنما فى القراءة مستحيل.. أنا قارىء من عشرين سنـة وصوتى بيلعلع من إذاعات العالم! ثم خرج الشيخ من الاذاعة ولم يعد إليها قط.. وقضـى عاما بلاعمل، ثم أراد أن يحتج على هذا الوضع الغـريب، وكان احتجاجه فريدا ولاذعـا، فقد افتتح الشيخ مقهى فى شبرا وجلس الشيخ خلف البنك يعد المارك، ويعـد المشاريب للزبائن الكـرام، وذات ليلة باردة من ليالى عام١٩٥٢ مات الشيخ السنديونى داخل مقهاه.

ولقد كان صـوته غريبا، يقطـر ألما وحزنا، ومرارة كحيـاته التى لم تستمـر طويـلا، فقد مـات الشيخ السنديـونى فى سن الأربعين! كان صوتـه يشبه صوت الناى الحزين، صـوت مصرى عريق، فيه صرخات وأنات وزفرات الفـلاحين الذين عاش معهم وتربى بينهم، وانتهى إليهم آخر الأمـر جثة بـلا روح، فقد أوصى قبل مـوته بأن يدفنوه على شاطىء الرياح فى سنديون!!

وفى يـافا كـان بيتـه ندوة لأهل الفـن، وكان أبـرز مـافيه حبـه الشديد للمعـرفة والثقافة وتعلقه الشديـد بالمثقفين، وفى تلك الندوة كان يسـهر الشـاعر الكاتب المرحوم عبـدالرحمن الخميسى وسامى

داود وعميد الامام وسليم اللوزى، وتردد عليها أيضا عباس محمود العقاد وإبراهيم المازنى خلال زيارتهما الخاطفة لفلسطين، وإبراهيم الشنطى صاحب جريدة الدفاع فى يافا الذى كان من أصدقائه هو وناصر الدين النشاشيبى، وسعيد التلاوى صاحب الفيحاء فى دمشق، وسعيد فريحة صاحب الصياد فى بيروت، وعندما مات رثته صحف العواصم العربية كلها ماعدا صحف القاهرة، فقد نشرت خبر وفاته فى سطور.

وفى بداية عام١٩٤٨ قبل بدء الحرب الفلسطينية بأشهر قليلة، كان الشيخ يقرأ لآخر مرة له فى فلسطين، وفى مدينة القدس، وكانت المناسبة وفاة عربى كبير يسكن المدينة التى سقطت فيما بعد فى يد إسرائيل، وفى تلك الليلة نشب قتال وحشى بين شباب جمعية الأراجون الارهابية والشباب العربى، وأصيب الشيخ يومها فى رأسه، فحزم امتعته فى المساء، وعاد إلى القاهرة بقطار الفجر، وبعد أن خمدت النار فى فلسطين، ظل الشيخ يحن إلى الأرض المقدسة التى شهدت مجده، فطار من جديد إلى عمان، وظل هناك حتى قدر له أن يقرأ فى مآتم الملك عبدالله، ثم سافر إلى سوريا وإلى لبنان وقضى فى كل منهما زمنا.

ثم عاد إلى القاهرة ليستقر فى حفرة على النيل.



ألحان السماء
من الشيخة
أم محمد
إلى الشيخة
كريمة العدلية

بموت السيدة نبوية النحاس فى عام١٩٧٣ انطوت صفحة رائعة من كتاب فــن التلاوة والانشاد الدينى فى العصر الحديث، فقد كانت السيــدة نبوية هى آخر سيــدة مصريــة ترتل القــرآن الكــريم فى الاحتفــالات العامــة، وفى المناسبات الدينيــة، وفى المآتم والأفراح. وكان الاستماع إليهــا مقصوراً على السيــدات، وكان بمسجد الحسين قسم خــاص للسيدات يــدخلن إليه من باب خاص. وكانت السيدة نبوية هى واحدة من ثــلاث سيــدات اشتهــرن فى نفــس الــوقت: السيــدة كريمة العدلية والسيدة منيرة عبده.. والسيدة نبوية.

أما السيدة كريمة العدلية فهى أشهرن جميعاً..

ظهــرت فى عصر الشيــخ على محمــود والشيخ منصــــور بــدار، ووصل صــوتها للعــالم العربى كلــه من خــلال الميكــروفون أيــام الاذاعات الأهليــة، وعاشت السيدة كريمــة حتى تم تمصير الاذاعة، وظللت تذيع القرآن الكريم بصــوتها العذب إلى فترة الحرب العالمية الثانيــة. وكانت هناك قصة حب شــديد وعجيب بين كريمة العــدلية والشيخ على محمود. كــانت تعشق صوته وطريقتــه الفذة فى الأداء، وكان هو يفضل الاستماع إليها ويفضل صوتها على أصوات بعض القراء، وكثيراً ما كــانت تصلى الفجر فى الحســين فى الركن المخصص

للسيدات لكى تتمكن من سماع صوت الشيخ على محمود وهو يرفع آذان الفجر بصوته الذى ليس له مثيل. ولم يسبق الشيخة كريمة العدلية واحدة من السيدات اللاتى احترفن ترتيل القرآن وإنشاد المدائح النبوية إلا السيدة أم محمد، التى ظهرت فى عصر محمد على، وكان من عادتها إحياء ليالى شهر رمضان الكريم فى حرملك الوالى.

كما كانت تقوم بإحياء ليالى المآتم فى قصور قواد الجيش وكبار رجال الدولة. وكانت موضع إعجاب الباشا محمد على، وحصلت على العديد من الجوائز والهدايا، وأمر محمد على بسفرها إلى اسطنبول لإحياء ليالى شهر رمضان المعظم فى حرملك السلطانة. وماتت الشيخة أم محمد قبل هزيمة محمد على ومرضه، ودفنت فى مقبرة أنشئت خصيصاً لها فى الإمام الشافعى، وجرت مراسم تشييع الجنازة فى احتفال عظيم.

ولكن الشيخة منيرة عبده لم تحقق الشهرة التى وصلت إليها كريمة العدلية، بالرغم من وصول صوتها إلى العالم العربى عبر ميكروفونات الاذاعات الأهلية المصرية، وعندما قرأت أول مرة فى عام١٩٢٠ كانت فتاة صغيرة فى الثامنة عشرة من عمرها، نحيفة وضعيفة وكفيفة أيضاً، وأحدث ظهورها ضجة كبرى فى العالم العربى، ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت الشيخة منيرة ندا للمشايخ الكبار، وذاع صيتها خارج مصر، وتهافت عليها جميع إذاعات مصر الأهلية. وفى عام١٩٢٥ عرض عليها أحد التجار الأثرياء التوانسة إحياء شهر رمضان فى قصره بصفاقس وبأجر ألف جنيه، وهو مبلغ يساوى بحساب النقد هذه الأيام مائة ألف جنيه.

ولكن الفتاة الصغيرة الكفيفة لم تستطع تحقيق أمنية الرجل

الثـرى الطيب، فلم يكن من الرجل الطيب الا الحضـور إلى القاهـرة وقضاء شـهر رمضان فى مصر، وعندمـا أنشئت الاذاعة الرسمية فى القاهرة، كانت الشيخة منيرة فى طليعة الذين رتلوا القرآن من خلال موجـاتها، وكانت تتقـاضى خمسة جنيهـات، فى الوقت الـذى كان يتقاضى فيـه الشيخ رفعت عشرة جنيهات، ومـع أن الشيخة منيرة عبده كانت على علاقة طيبة بكل القراء، إلا أنها كانت تفضل الشيخ محمد الصيفى على الجميع، وكانت تعتبره شيخ القراء جميعاً.

وقبل الحرب العالميـة الأخيرة بقليل أفتى بعض المشـايخ الكبار بأن صوت المرأة عـورة، وهكذا اختفت الشيخـة منيرة من الاذاعة، وتوقفت إذاعة لندن وإذاعة باريس عـن إذاعة إسطواناتها خوفاً من غضب المشـايخ الكبـار، وبالـرغم من تـدفق المئـات من خطابـات الاحتجاج من المستمعين على ابعـاد الشيخة منيرة، إلا أن الاذاعة لم تستطع أن تفعل شيئاً، فقد قضى الأمر بعـد فتوى المشايخ الكبار، واعتكفت الشيخة منيرة فى آخر أيام حيـاتها فى بيتها تجتر ذكريات الأيام الجميلـة القديمـة الحافلة، وعاشت حتـى ماتت وهى تمارس هـوايتها الـوحيدة، وهى الاستماع والاستمتـاع بأصوات العمالقـة الذين انتقلـوا إلى رحمة الله، فقد كانت تحتفظ لهم بمجمـوعة كبيرة من الاسطوانات التى تحفظ أصواتهم.

وكانت تـردد دائماً أمام الاصـدقاء والمترددين عليهـا: إن الزمن يفقـد الأصـوات بعض خصـائصهـا الجميلـة، ولـذلك فهى تفضل الاستماع إلى أصوات المشايخ الكبار عندما كانوا فى فترة الشباب.

والحقيقة أن مصر كانت تضـم العشرات من السيدات القارئات غير كريمـة العدليـة ومنيرة عبده ونبـوية النحـاس. فقد كـانت إلى جـانب هـؤلاء السيـدات الشـهيرات الكثيرات من السيـدات اللـواتى يمارسن هذه المهنة فى احياء القاهرة الشـعبية وفى الريف.

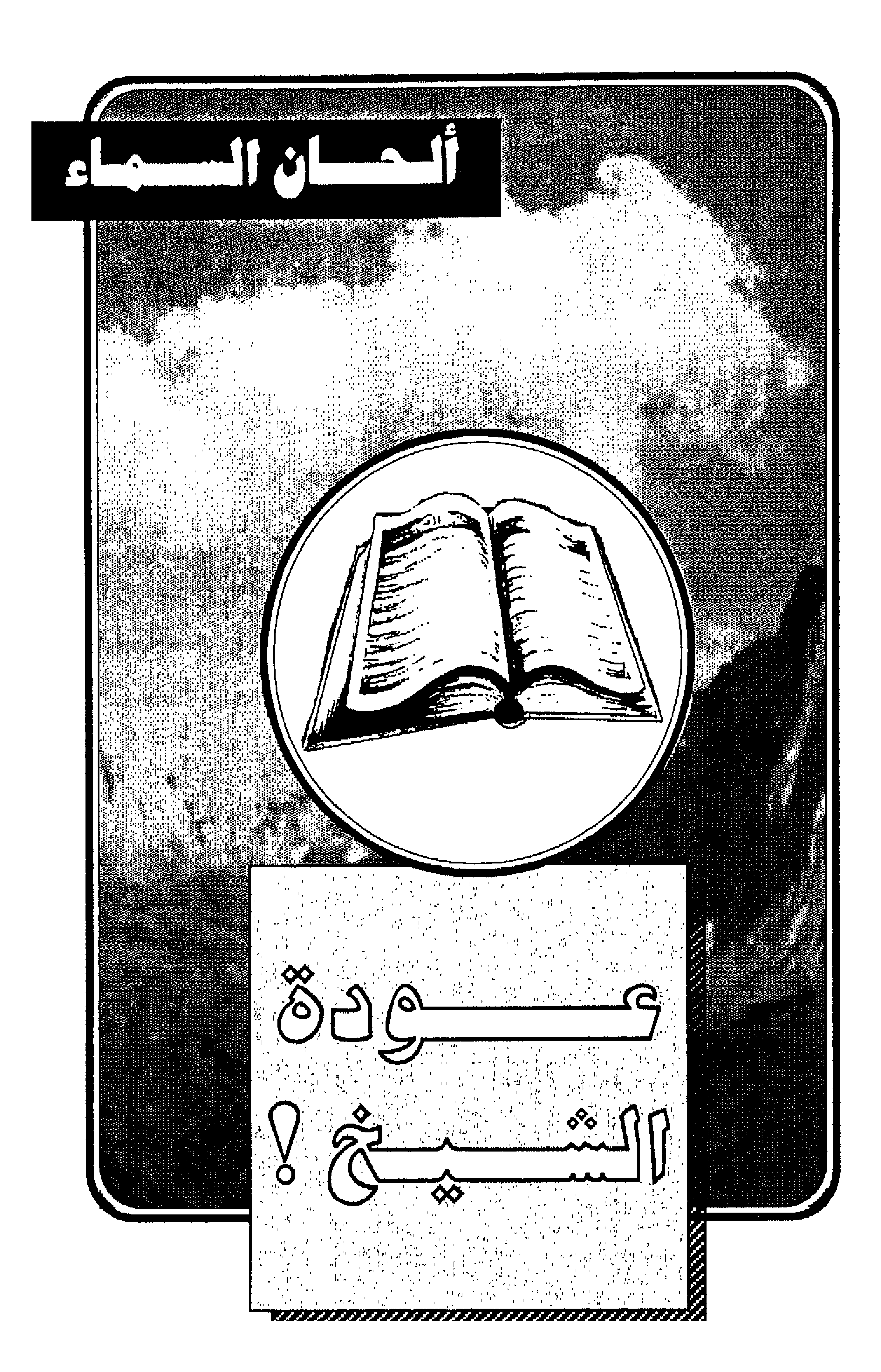
والسبب أنه كانت للأسر المصرية حتى بداية القرن تقاليد ظلوا متمسكين بها حتى الربع الأول من هذا القرن، كانت ليالى المآتم تقام ثلاثة أيام للرجال وثلاثة أيام للنساء، وكان لابد من وجود قارئات لإحياء ليالى المآتم عند السيدات، وفى البداية لم يكن هؤلاء السيدات يحترفن مهنة ترتيل القرآن، ولكنهن كن يحترفن مهنة النياحة، أو المعددات كما كان يطلق عليهن أبناء الشعب، وأشهر هؤلاء كانت الحاجة دربالة بالجيزة، وعندما كانت تحترف النياحة كانت قادرة على أن تستدر الدمع من عيون الصخر، ثم احترفت قراءة القرآن فترة من الوقت، ولكنها لم تستمر طويلاً، فقد أصيبت بمرض خبيث، وماتت وهى فى الخمسين من العمر.

وكانت هناك الحاجة خضرة فى المنوفية، والست عزيزة فى الاسكندرية، والست رتيبة فى المنصورة، والشيخة أم زغلول فى السويس. والغريب أنهن جميعاً كن يحترفن النياحة فى المآتم قبل أن يتحولن إلى قارئات. والنياحة مهنة معروفة فى مصر، ويبدو أنها ميراث من قدماء المصريين، الذين كانوا يحتفلون بالميت أربعين يوماً بالتمام والكمال.

وكان للنياحة فى مصر نجوم أشهر من نجوم السينما حتى منتصف القرن الحالى.. وهذه المهنة نفسها.. النياحة.. كانت معروفة فى الجزيرة العربية أيام الجاهلية وصدر الاسلام، وكان يحترفها ابن سريج فى المدينة، ومعبد فى مكة قبل انتقالهما إلى الطرب والغناء، ولكن أشهرهم جميعاً فى التاريخ المصرى هى الشيخة أم عبدالسلام. وقد ظهرت فى العصر المملوكى، ثم تزوجت من شيخ مجذوب كان يحترف مهنة كتابة الأحجبة.. وبعد أن استولى على ثروتها، هرب منها، ورفعت الأمر إلى المملوك الوالى، ولكنها اكتشفت أنه كان على علاقة بالوالى المملوك وأنه كان كاتب

الأحجبة الرسمى للبلاط المملوكى، فأصابها الجنون، ومزقت ملابسها، وراحت تجوب حوارى القاهرة وأزقتها عارية كما ولدتها أمها، ورفع الناس شكواهم ضدها إلى المملوك الوالى، فأمسك بها وضربها وحبسها، وعندما أطلقها من محبسها عادت إلى سيرتها الأولى، فانقض عليها بعض الحرافيش ورجموها بالحجارة حتى ماتت. ودفنت الشيخة أم عبدالسلام فى مقابر الصدقة، وذهبت غير مأسوف عليها.

والآن ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين، اختفت هذه الظاهرة تماماً فى مصر، وربما فى البلاد العربية أيضاً، ولكنها موجودة فى بلاد جنود شرق آسيا، وقد استمعت منذ عدة أعوام فقط إلى قارئة فى الفليبين، واستمتعت إلى قارئة ماليزية فى تايلاند، وكانت تقرأ للرجال، ولكن من وراء ستار!


ألحان السماء
عودة
الشيخ!

الشيخ أبو العينين شعيشع من الشيوخ المتكلمين، أحيانا يقول كلاما صحيحا، وأحيانا يقول كلاما من النوع المضروب، ومن كلامه الفارغ ما صرح به لمندوب جريدة يومية بأن عسكر يوليو منعوه من القراءة فى الإذاعة، ولما سأله المحرر: ليه؟ أجاب قائلا: لأننى كنت قارئ الملك قبل الثورة..

ويؤسفنى أن أقول لكم ـ فى شهر رمضان المبارك ـ بأن كل ما نطق به الشيخ فى هذا الحديث كذب فى كذب!

فهو أولا وقبل كل شىء لم يكن قارئ الملك، ولكنه أحيانا كان يقرأ فى السرادق الملكى داخل قصر عابدين فى شهر رمضان، وكان يشترك مع عشرات من كبار القراء فى ذلك الزمان، وإذا كان أحد القراء يستحق هذا اللقب « قارئ الملك » فهو المرحوم الشيخ مصطفى إسماعيل، الذى كان قارئ الملك بحق، ثم أصبح قارئا للثورة، وعلى أساس قاعدة ثابتة ولا تتغير وهى خياركم فى الجاهلية.. خياركم فى الإسلام ! وهى ليست كلمات كذب فقط، ولكنها نكران للفضل وعدم أعتراف بالجميل، وهى صفحات كنت لا أود أن أصف بها الشيخ أبو العينين شعيشع الذى تعرفت به وأنا شاب صغير قبل الثورة بعدة سنوات ، يومها كان الشيخ

شعيشع أحد الأصوات العظيمة فى دولة التلاوة، وقد أحدث فى بدايته ضجة كبرى فى مصر، وفى العالم العربى، لأنه كان أقرب الأصوات إلى صوت الشيخ محمد رفعت، ولذلك وقع الإختيار عليه لتكملة أشرطة الشيخ محمد رفعت التى نال منها الزمن. وقام بهذا العمل الجليل مع زميله الأستاذ الدكتور أحمد هيبة الذى كان يعمل أستاذا فى كلية الزراعة، ولا يستطيع أحد أن يتبين الفرق بين صوت الشيخ شعيشع والشيخ محمد رفعت فى تلك الإسطوانات والأشرطة إلا عبقرى مثل محمد عبد الوهاب، أو سميع قديم وخبير مثل كمال النجمى.

ثم حدث فى بداية الستينيات أن أصيب الشيخ بمرض خطير أصاب أحباله الصوتية فلم يستطع القراءة، ولأن الدنيا كانت بخير لاتزال، فقد اتفق الرأى لدى عسكر يوليو على إذاعة أشرطة الشيخ القديمة، مع الاستمرار فى صرف نفس المكافأة المالية التى كان يتقاضاها وهو قادر على العطاء، وظل العمل ساريا على هذا الأساس، وحتى انتقل عبد الناصر إلى رحاب الله.

هذه هى قصة الشيخ شعيشع مع عسكر يوليو كما حدثت بالتمام والكمال، وإذا كان هذا هو نوع الكلام البطال الذى يقوله الشيخ شعيشع، فهناك نوع آخر من الكلام صرح به فى رمضان قبل الماضى لمندوب الإذاعة البريطانية فى لندن، عندما سأله عن السر فى عدم ظهور أصوات جديدة مميزة فى دولة التلاوة، فأجاب الشيخ بأنها ظاهرة غريبة ومريبة أيضا، وكشف الشيخ شعيشع عن سر لم نكن نعلمه. فقد مسح الشيخ مصر كلها من أسوان وحتى الاسكندرية بحثا عن أصوات جديدة وواعدة وبتكليف من وزارة الأوقاف، ولكنه لم يعثر على صوت واحد يبشر بالخير، ولما سئل عن السر وراء هذا العقم الشديد، أجاب الشيخ:

إن السبب فى رأيه شخصيا هو الأكل البلاستك الذى يتعاطاه المصريون منذ عدة سنوات.. وهذا القول من الشيخ شعيشع على ما يحمله من سخرية هو القول الصحيح.. اختفت الفراخ البلدى، وأصبح السمن البلدى أندر من المخدرات، والعسل الأبيض تحول إلى مياه مخلوطة بالسكر، والعيش البلدى الحلو حل محله العيش الأسمنت، والسمك النيلى يحمل سمومه ويسبح بين الأمواج، واللحم الفاسد يبنى العمارات على النيل للسادة المستوردين.. ويبنى المدافن للملايين من أبناء مصر فى صحراء الهرم وفى صحراء الفيوم، ناهيك عن فراخ المزارع المحقونة بحبوب منع الحمل، وسمك المزارع الذى يتغذى من المجارى.

والطعام الفاسد ينتج أجيالا صوتية فاسدة، والنتيجة كما نشاهدها اليوم ونلمسها جميعا، سواء فى مجال الغناء أو فى مجال التلاوة، وصار التقليد هو العملة السائدة.

الدكتور نعينع مثلا هو الصوت المفضل الآن لدى أجهزة الإعلام، مع أنه نسخة مقلدة من الشيخ مصطفى إسماعيل. وهناك عشرات من القراء يقلدون الشيخ الطبلاوى، والباقون لا يقلدون أحدا لأنهم لا يستطيعون، ولا يقولون شيئا لأنهم ليسوا مؤهلين وليسوا قادرين، وأصبحت المسائل سهلة، لأن كل مايذيعه التليفزيون بالذات من أصوات فى مجال التلاوة هى أصوات مضروبة، ولو ظهر أصحابها فى منتصف القرن لكانت أسمى أمانيهم هى التلاوة فى مقابر الإمام الشافعى، لأن قراء قرافة الإمام الشافعى فى تلك الفترة كانوا بالتأكيد أرفع مستوى من قراء التليفزيون هذه الأيام، تبقى الإذاعة، ويبقى لإذاعة الشرق الأوسط فضل علينا وعلى المستمعين بشكل عام، ولأنها احتفظت لنفسها بصوت عبقرى الحنجرة والقلب الشيخ محمد رفعت، ولكن الإذاعة بوجه عام فرطت فى حقها وفى حقنا أيضا، عندما أهدرت تراثها

العظيم من تسجيلات أصحاب الأصوات النادرة.
ونعود مرة أخرى إلى الشيخ شعيشع الذى كان طالبا بمدرسة المنصورة الثانوية، شاب حكم عليه جميع الأساتذة بأنه لا يصلح لشىء، لأنه أبدا ساهم على الدوام، وكان الغريب فى أمر الفتى أنه كان على الدوام يحرك شفتيه بكلام خافت.. وكان الذين يجاورونه فى الفصل يعلمون أنه يرتل القرآن، ورسب الطالب عاما وأعواما كثيرة، واستدعى الناظر أخاه الكبير ليقول له: إن أخاك لا يصلح هنا.
كان هذا آخر عهد «أبو العينين شعيشع» بالمدرسة، وخرج الشيخ أبو العينين إلى الشارع، يسهر كثيرا فى الموالد ويحوم حول المنشدين فى الأسواق، ويطرب كلما سمع أن أحدا من كبار القراء سيسهر الليل فى المنصورة، وكان أخوه «الشيخ أحمد شعيشع» من مشاهير القراء فى المنصورة، فكانت فرصة طيبة للسيد أبو العينين أن يذهب معه كل مساء إلى كل مأتم أو ليلة مولد يحتفل بها.
وسمع الشيخ أبو العينين فى الليالى الكثيرة التى سهرها الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى، والشيخ محمد الصيفى، والشيخ محمد رفعت، وذات ليلة كان الشيخ أحمد متعبا، فحل محله الشيخ أبو العينين، وسمعه الشيخ رفعت فأعجب به، وتنبأ له بمستقبل باهر، ثم لم يلبث الشيخ أبو العينين أن نزح إلى القاهرة، وكان ذلك فى عام ١٩٤٢، فقد سمعه رجل من رجال القصر الملكى، فاستدعاه ليقرأ فى الإذاعة، ومنذ ذلك الحين والشيخ أبو العينين لا يفارق الشيخ رفعت، الذى اتخذ منه تلميذا له، واتخذ الشيخ أبو العينين من القاهرة مقرا له، ولم يلبث أن نزح إليها الشيخ أحمد شقيقه الأكبر بعد أن اعتزل القراءة فى المنصورة، وعاش ليرعى شئون أخيه.

وفى عام ١٩٤٨ بلغ أجر الشيخ أبو العينين مائة جنيه فى الليلة الواحدة، وأصبح يتقاضى خمسة وعشرين جنيها عن كل إذاعة له من محطة القاهرة، وهو مبلغ لم يصل إليه حتى الآن سوى أربعة من كبار القراء، مصطفى إسماعيل، وعبد الفتاح الشعشاعى، ومحمد الصيفى، والشيخ أبو العينين.

وعندما توفيت ملكة العراق سافر الشيخ إلى بغداد ليحيى مأتمها بدعوة رسمية من الحكومة العراقية، وتقاضى فى تلك الرحلة ثلاثة آلاف جنيه، وفى عام ١٩٥٢ استدعته الإذاعة المصرية ليقوم بتكملة أشرطة المرحوم الشيخ محمد رفعت.

والذين يستمعون الأشرطة الآن لا يستطيعون ببساطة تمييز صوت الشيخ شعيشع أثناء التلاوة، السبب فى ذلك أن الشيخ أبوالعينين كان يقرأ بطريقة الشيخ رفعت قبل وفاته، وكان الشيخ رفعت يرضى عنها كثيرا، إن الشيخ أبو العينين فى الخامسة والسبعين من عمره، وكان يرتدى الكاكولا والطربوش، مخالفا بذلك الزى التقليدى للمشايخ الذين ظهروا فى دنيا التلاوة، ولكنه اضطر إلى خلع الطربوش عندما زار تركيا، وكان مندوب السفارة المصرية فى انتظاره بالمطار، وحذره المندوب من ارتداء الطربوش فى اسطنبول لأن عقوبة ارتدائه السجن، فخلع الشيخ الطربوش، وتعمم بمنديل، ثم تعمم بعد ذلك بشال أبيض.

ولكن سوء الحظ تدخل فى حياة الشيخ وهو فى قمة عنفوانه وشبابه، فقد أصابه مرض غريب أثر على أحباله الصوتية، ثم مات أخوه الشيخ أحمد الذى كان بمثابة الوالد، ولكن الشيخ استطاع بالصبر أن يهزم مرضه، وعاد إلى القراءة من جديد، ويسافر كل عام إلى الخارج لإحياء ليالى شهر رمضان المبارك، وأشرطته تسجل أرقاما عالية فى التوزيع، كما أنه يلعب الآن دور الكشاف فى لعبة

كـرة القدم، ولـه جـولات واسعة فى ريف مصر لإكتشـاف المواهب الجديدة، وله رأى فى عدم وجود أصوات جديدة واعدة.

والسبب فى رأى الشيخ أن الكتـاتيـب اختفت فى الـريف، كما أن الأكل البلاستيك والماء الملوث، واستخدام الأسمدة الكيمياوية أثرت عضويا على صحة الإنسان، وهـو رأى صحيح بالتأكيد، لأن الناس زمان كـانت تأكل الطعام الطبيعى بلا كيماويـات ولا تلوث.. ولهذا السبب كـان فى مصر أكثـر من عشريـن قـارئا للقـرآن من فصيلـة العباقرة، اجتمعوا جميعا فى وقت واحد فى بداية القرن العشرين.

والآن.. ربما لا يـوجـد من صنـف العبـاقـرة إلا شخص أو شخصان، والباقون من صنف البلاستيك كـالطعام الذى يأكلونه، ولا يـزال الشيخ شعيشع يعيش بيننـا، نفحـة من نفحـات الماضى الجميل الذى عاشه المصريون وسعدوا به.


ألحان السماء
صوت
عموم
المسلمين

صوت الإنسان مثل لون عينيه ليس له دخل فيه وليس له دلالة.

العيون الخضر مثلا لا تدل على أن صاحبها مغفل أو ذكى أو حريص أو نواسى الطبع يرتكب الإثم ويفخر به ولا يبالى!

والصوت القبيح قد يكون لصاحب نفس طيبة، والصوت الجميل قد يكون لشيطان رجيم!

والشيخ عبد الباسط عبد الصمد له صوت جميل ونفسية طيبة أيضا، وعندما يكون لك نفسية طيبة وصوت قبيح، فلن تكسب شيئا. فإذا كان لك صوت جميل ونفسية من أى لون فستصبح ثرياً وشهيراً قبل أن تبلغ الثلاثين، فإذا كان صوتك من معدن الشيخ عبدالباسط، فأنت تستطيع أن تدخل التاريخ كصاحب صوت وطريقة من أجمل ما عرفته دولة التلاوة فى تاريخها الطويل .

بدأ الشيخ عبدالباسط يعشق سماع القرآن الكريم من المشايخ الكبار فى مساجد أرمنت وفى مقابرها، ولكنه كان يفضل سماعه منبعثاً من ذلك الصندوق السحرى الذى اسمه الراديو.

وفى عام ١٩٣٩ كـان هذا الصنـدوق أندر من الـذهب، وكان فى أرمنت كلهـا راديو واحـد يبعـد عن بيت الشيخ عـدة أميال، وكـان الشيخ يذهب حيث يوجد الصنـدوق مرتين كل أسبوع، مرة فى يوم الثـلاثاء ومـرة أخـرى فى يوم الجمعـة، وهـذه اللحظات التى كـان يقضيها بجوار الصندوق هى أسعد لحظات عمره.

كـان يجلس مستندا على جـدار الدكـان، والصندوق السحـرى ينبعث من داخله صـوت كأنه السحر، صوت فيه شجـن وفيه قوة وفيه خشوع وفيه رهبة، وفيه دعـوة إلى ملكوت الله! كان هو صوت المرحوم الشيخ محمد رفعت .

وفى عـام ١٩٤٠ بدأ الشيخ عبـدالبـاسط يحترف قراءة القـرآن، وكـانت أولى ليـاليه فى قـريتـه، وفى مأتم أحـد أقاربـه، وقـرأ عشر سـاعـات كاملـة، ثم نقـدوه أجـره فى الصباح، وكـان الأجـر عشرة قروش فضة، كبيرة مثل العيش المرحرح وعليهـا نقوش بارزة تقول أنها ضربت فى عهد السلطان !

واشترى الشيخ حلاوة طحينيـة وملبن وكراملة وفـول سودانى ولب، ووضـع البـاقى فى حصالـة. فقـد كان حلمـه الكبير أن يقطع تذكـرة ويركب القطار إلى بلد بعيـد! وفى سن الخامسة عشرة تحقق حلمـه الكبير، ركب القطـار القشاش من أرمنت إلى قـريـة مجاورة وسهـر هناك حتى الصبـاح، وعـاد ومعه خمسـة وعشرون قرشـا كاملـة! وكانت هـذه الليلة هى تـاريخ ميلاده، ففى تلك الليلـة ولد قارئ جديـد، صوته قوى وجميل، وهو شـاب وصحتـه جيدة، وله أسلوب فى القراءة لايقلد فيه أحداً، وإنما هو لون جديد!

ومن تلك الليلة بدأت شهرة الشيخ عبـدالباسط، وانفتحت أمامه قصور العمـد والأعيان وبـاشوات الصعيـد، وأصبح جـواب آفاق، يخرج من بيته أول الشـهر فلا يعود إليه إلا فى نهايته .

وتزوج وأنجب، وعبر البحر إلى بيت الله الحرام، وقرأ فى الكعبة الشريفة، وعلى مسمع من نصف مليون من البشر، بينهم الهندى والعربى والتركى وابن القوقاز والذى من نسل المغول! ثم عاد ليعيش فى قريته مرة أخرى .

وفى عام ١٩٥٠ جاء الشيخ إلى القاهرة ليزور السيدة زينب، وفى ليالى المولد كان يندس فى الزحام كل ليلة مجهولاً مغموراً، يتفرج على الأضواء والألعاب وعلى الأذكار، ويخلع نعليه ويزحف إلى داخل المسجد، ليستمع إلى القراء الكبار. وفى الليلة الختامية كان هناك أكثر من قارىء عملاق يخوضون فيما بينهم معركة حامية لإحياء مولد السيدة، ثم أدرك التعب هؤلاء المشايخ الكبار فكفوا عن التلاوة، ثم دعا بعض الناس الشيخ عبدالباسط إلى القراءة، فهو على الأقل يستطيع أن يقتل الوقت حتى يستريح المشايخ الكبار، ويستأنفوا التلاوة.

وتقدم الشيخ عبدالباسط على حذر، وقرأ وهو يتوجس شراً، والناس أيضا يتوقعون شراً، وعندما انتهى من التلاوة كان الفجر على الأبواب، وكان المسجد قد ضاق بالناس، وخرج من المسجد فى الصباح وعلى يديه ألف قبلة، ومعه أكثر من عقد لإحياء الليالى هنا وهناك، ولأول مرة أيضا وصلت إلى يديه عشرة جنيهات كاملة.. ثم عشرون.. ثم ثلاثون.. ثم خمسون، وعند ذلك قرر اعتزال الصعيد والبقاء إلى الأبد فى القاهرة، ونام الشيخ عبدالباسط فى لوكاندة الشرق فى السيدة زينب، ولم يمض عامان حتى وصل صوته إلى الاذاعة. ووصل أجره ١٢جنيها كل نصف ساعة، ووصل أجره فى الليلة إلى مائة جنيه، وغادر الشيخ عبدالباسط القاهرة إلى أرمنت ثم عاد ومعه كل العائلة، شقيقان وزوجته ونصف دستة من الأطفال .

وذاع صيت الشيخ فى كل مكان، وقفز أجـره إلى مائتى جنيه ثم إلى ثلاثمائة جنيه .

والشيخ عبـدالبـاسط طــاف حـول الكـرة الأرضيـة وذهب إلى الشرق وإلى الغرب، ولم يثر انتباهه شىء فى تلك البلاد إلاالمعجبون بفنه.. فى أندونيسيا مثلا كان المعجبون يقفون بالساعات ليستمعوا إليـه، وفى مراكش قـرأ للملك وحده، وفى بـاريس لم يجد مستمعين ولم يجد معجبين فشعر بالاختناق وهجرها بعد ثلاثة أيام، هجرها إلى كـازابــلانكـا، وهــو لا يـذكــر من بـاريـس إلا شــارع نهر الصين«السين»، وكان يحلو له أن يتنزه فيـه كل مساء وهو بالجبة والقفطان .

والشيخ عبـدالبـاسط لم يـؤمن بـالسينما ولا بـالمسرح ويحب القراءة، وأحسن كاتب قصة فى نظـره هو عباس العقاد! طه حسـين كويـس أيضـا، وهو مـدمن قراءة صحف، وأحسن كتـاب الصحف هو محمـد حسنين هيكل ثم كامل الشنـاوى، ولا يغيظه فى الجرائد إلا الكذب، إنها تكـذب كثيراً، روت عنه أخبـاراً ملفقة وقصصـاً من نسيج الخيـال، وأطلقت عليه اسم «بـراندو» وهــو يشعر بـالأسف لاطلاق هـذا الاسم عليه، لأن برانـدو ممثل ولأنه أمـريكانى، ولكن الشيخ يتسامح مع الصحفى حتى لو أساء إليه !

والقـارىء فنان، وبعضـهم يستطيع أن يصبــح مطربـاً ويبسط النـاس، ولكن القارىء يكسب أضعـاف المطـرب، إنه لا يحتـاج إلى مـؤلف ولا إلى تخت ولا إلى كـــورس ولا إلى ملحن. لأن الملحن هــو علم أحكام القراءات .

والشيخ عبـدالباسط لم يقرأ شعـراً ولم يهتم بالشعـراء، وسمع أن هناك رجلاً اسمــه شوقى، ولم يعلم إن كان حيـا يرزق أو طواه القبر، ويعرف أن تـوفيق الحكيم هو رئيس الشعـراء، وكان أحيـانا

يسع الأغانى، وأحسن مطرب لديه كـان محمد عبدالوهاب، وأحسن أغـانيه هـو فى الليل لماخلى، وفـايت على بيت الحبايب، وعبـدالحليم حافظ مش بطال، وأم كلثوم معجـزة.. فلتة لن يجود بمثلها الزمان! إنها فى الطـرب مثل الشيخ محمـد رفعت فى التـلاوة، وكـلاهما عبقرى وكلاهما فيه سحر من عند الله .

ولكن أشرطة رفعت التى تـذيعها الاذاعة الآن تسىء إلى الشيخ، إنها صدى هزيل لصوته الحقيقى، الذى هو بحق أعجوبة الزمان !

وكان يـؤمن جدا بالحديث الشريف: «اعمل لـدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا».

وقـد عمل لدنيـاه، أحب الأسفـار والـرحلات، وأنفق عن سعـة، وسكن فى شقة فاخـرة، وكان فى مكتبه تليفون أخضر، وكـانت لديه عربـة شيفروليه آخر مـوديل، وكما عمل لدنياه عمل لآخـرته، ومن أجل آخرته دخل مؤسسا فى بعض الشركات، وأقام فى أرمنت عمارة ضخمـة، ولكنه لم يملك أرضـا ولانقـوداً، ولكنه كـان يملك الستر، وكان دائما يسأل الله أن يديم الستر عليه !

وكان يميل فى حيـاته للعـزلة، كما كـان يكره الاختـلاط، وكانت وسيلته الـوحيدة للاتصال بـالناس هى الخطابـات، وكان يضع فى درج مكتبـه ألف صورة لـه يضعها فى خطـابات فى لـون البنفسج ويرسل بها إلى المعجبين فى كل مكان .

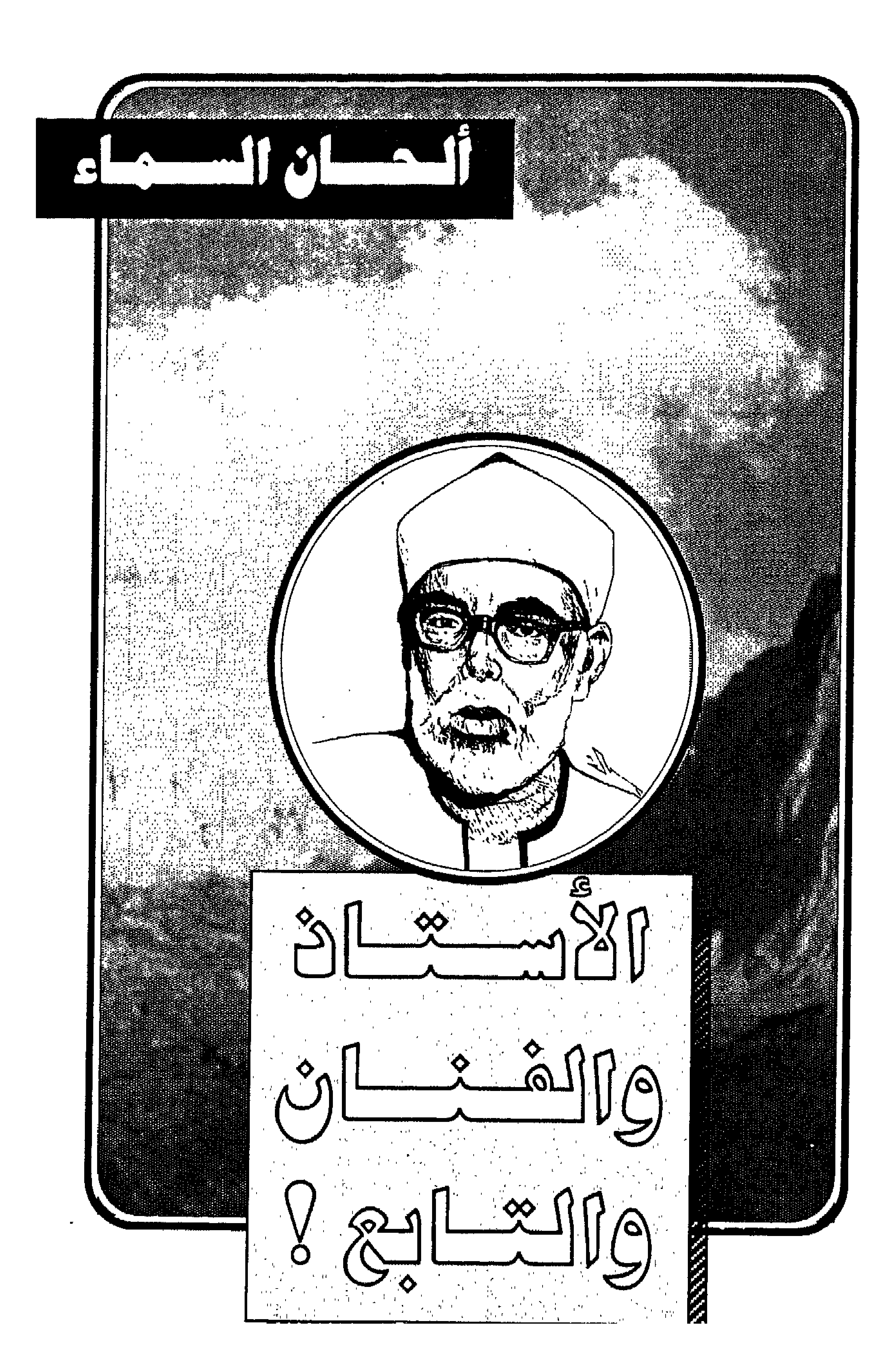
كـانت هوايتـه الـوحيدة هى قضـاء عـدة أسابيع كل شتـاء فى أسوان والاعتكـاف فى منزلـه طوال العـام والعبث بحبـات مسبحة نادرة خضراء فى لون البرسيم.. ولون السيارة والجبة.. والتليفون .

ولكن ولأن الأقدار بيد السماء ـ على رأى عمنـا زكريا الحجاوى يرحمه الله ـ فقـد أصيب الشيخ عبد الباسط وهو فى ريعـان شبابه وقمـة مجده بمـرض السكـر اللعين. نـال المرض من صحتـه ومن

صوته، فلم يعد هو الشيخ عبدالباسط الذى نعـرفه، انهكه المرض وظهـرت آثـاره على صـوتــه الجميل، وداخ الشيخ بحثـا عن دواء يصلح ما أفسـده الدهر، ولكن سعيه لم يشفع لـه، فما هو مكتوب على الجبين لابـد أن تـراه العين، وحـدث أن جـاء أحـد الأمـراء إلى القاهـرة واتصل بالعبـد لله طالبـا منى القيام بـواجب نحو الشيخ عبدالباسط، فقـد جاء إلى القاهرة ومعـه دواء من حبة البركة يحقق الشفـاء للشيخ الـذى بهر الجميـع وأحبـه الجميع ، وسـألت عن الشيخ، واكتشفت انـه يقضـى فترة فى المدينـة المنـورة بجـوار قبر الرسول، وحـدد لى موعد حضـوره، واتصلت بـه فى المساء وأجابنى صوت مشروخ من شـدة البكاء، وعندما سألتـه عن الشيخ أجابنى فى حزن شديد :

لقد مات منذ ساعات .

رحم الله الشيخ عبـدالبـاسط عبـدالصمد، الـذى أحبـه الملايين وعشقوه.. من أمريكا حتى الصين !


ألحان السماء
الأستاذ
والفنان
والتابع !

خارج مصر .. وفى كل أنحاء العالم الإسلامى، كانوا يطلقون عليه شيخ القراء المصريين، وهى تسمية خطأ، والصحيح أنه شيخ المقارئ، والمقارئ هى إدارة رسمية، وكان المرحوم الحصرى هو شيخها بلا منازع، أما شيخ القراء فى عصر الشيخ الحصرى فكان الشيخ مصطفى إسماعيل صاحب الحنجرة الذهبية، وبوفاته احتل الشيخ عبدالباسط عبدالصمد مكانه بلا منافس، فهو صاحب الحنجرة الفضية، وأحد أعلام القراءة فى العصر الحديث !

والشيخ الحصرى رحمة الله عليه كان صاحب مدرسة مميزة فى الأداء، ولكنه لم يكن من الطبقة الأولى بين القراء. وكان أقرب إلى الشيخ محمد الصيفى، وكلاهما عالم فى القراءات وأستاذ فى التجويد، وكلاهما حجة فى القراءات الصحيحة.. ولا يزيد! والفرق بين مصطفى إسماعيل ومحمود الحصرى هو ذاته الفرق بين الأديب نجيب محفوظ وأستاذ الأدب فى الجامعة وهو نفسه الفرق بين المدرب الجوهرى ومحمود الخطيب.. فالأول مدرس والثانى فنان، ومن السهل إنتاج ألف أستاذ، ولكن من العسير خلق فنان واحد، لأن الفنان من صنع ربى، وليس من صنع المدرس والجامعات!

فى استطاعة أى إنسان أن ينشئ جامعة لخريج ألف متعلم، ولكن ليس فى استطاعة أى مخلوق أن ينشئ موهبة حتى ولو كانت ضئيلة الحجم أو قصيرة القامة، لأن الموهبة نبتة غريبة فى حقل البشرية، وهى هبة إلهية، ثم تجربة وتحصيل بعد ذلك. كما أنها لا تتكرر، فهى طلقة واحدة سواء استقرت فى الهدف أو طاشت فى الفضاء! ولقد كان الحصرى عالما فذا ومتعلما عظيما، وكان دارساً ومدرساً، وترك بموته فراغاً كبيراً لأن أغلب القراء الذين على قيد الحياة الآن لم يحصلوا تعليمه، ولم يبلغوا علمه، وبعضهم موهوب، والبعض الآخر لا فن ولا معرفة ولا رغبة فى شئ من هذا.. ولا أمل !

وما أكثر القراء العظام الذين ظهروا فى مصر منذ بداية هذا القرن، وكان من بين هؤلاء أستاذ جامعى هو الدكتور أحمد هيبة، وكان يتمتع بصوت قوى وقرار سليم، ويعتبر واحدا من اثنين فى مصر يجيدان تقليد صوت محمد رفعت، وكان الآخر هو الشيخ أبوالعينين شعيشع.

حرص الدكتور هيبة على أداء صلاة الجمعة فى مسجد فضل باشا بالجماميز، وهو المسجد الذى ظل الشيخ رفعت يقرأ فيه حتى مات، وقد تنازل الدكتور هيبة عن أجره من اذاعة القاهرة، ولكنه كان يقبل أجره من الاذاعات الخارجية، ورفض فى الوقت نفسه كل العروض التى عرضت عليه لاحتراف التلاوة، وآثر أن يكون هاويا فى دولة التلاوة ويمارس وظيفته كأستاذ للحشرات فى كلية الزراعة، وظل رافضاً إلى آخر يوم فى حياته لجميع العروض التى عرضت عليه القراءة فى المآتم والحفلات العامة، ولذلك لم يشتهر الدكتور أحمد هيبة جماهيريا بما فيه الكفاية، وظل حريصاً على أن يتمتع بكل الفضائل التى يجب أن يتحلى بها قارئ القرآن، وعندما مات الدكتور أحمد هيبة ترك وراءه ثروة من الاسطوانات

القـديمة لعباقرة دولة التلاوة وأساتذة فن الانشاد الدينى .

وكان من بين هؤلاء العظام الـذين ظهروا فى دولة التلاوة الشيخ محمود عبـدالحكم، وكانت لأدائه نكهة خـاصة، وبـالرغم من أدائه الفذ وصـوته المحبب إلى النفوس وانتشاره الـواسع فى جميع أنحاء العـالم الإسلامى، فقـد ظل يعيش عيشة متـواضعة، لأنـه لم يكن يحدد لنفسـه أجـراً، وكان يفضل مشـاركـة مصطفى إسماعيل فى المآتم والحفلات العامـة، وكان يقبل أى أجر يقدمه إليـه ويدسه فى جيبه دون أن ينظـر إليه ولم يحدث فى حيـاته كلهـا أن اختلف مع أحد من أبناء مهنته .

وكـان الشيخ محمـود على البنا مـن اللامعين فى دولـة التـلاوة وكانت له طـريقة خاصة ومتميزة، ومن أغرب الأشيـاء أن العبد لله وقع بصره أول مـرة على الشيخ محمـود على البنـا كـان فى حقبـة الأربعينيـات، وفى مبنـى جمعيـة الشبـان المسلمين، وكـان الشيخ محمـود على البنا أحـد أفراد فـريق المصارعـة بالجمعيـة، وعندمـا احترف التلاوة استطاع أن يشق طـريقه بسهولة وبسرعـة فائقة إلى الصفـوف الأولى، فصـــار فى وقت قصير نـــدا للشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

والشيخ محمود على البنـا يمتاز بأنـه صاحب رؤية سيـاسية وصاحب موقف أيضـا، وكان ناصريا ومعجبا على نحو مـا بانحياز حكومـة عبدالنـاصر إلى صفوف الفقـراء.. وظل حريصـا على قراءة القرآن فى بيت عبدالناصر فى مناسبة الاحتفال بذكراه كل عام، وكما كـان جميل الصوت، كـان أيضـا جميل الصورة، وكـان خير سفير للإسلام بكل مكان يحل فيه.

حـدث أن حـاصره مئات الألـوف من المسلمين فى أنـدونيسيـا ومنعوه من الانصراف ولم يتركوه إلا بعد أن ظل يقرأ لهم لمدة ست

ساعات متصلة، وقد اقترح بعد نكسة ١٩٦٧ أن يسافر ضمن وفد من كبار القراء إلى جميع الدول الإسلامية فى آسيا وافريقيا لجمع التبرعات لصالح إزالة آثار العدوان، ولكن الدولة رفضت الاقتراح، ومات الشيخ محمود على البنا بعد مرض خاطف لم يمهله طويلاً. وخسرت دولة التلاوة صوتاً من أعذب وأجمل الأصوات التى عرفتها فى تاريخها الطويل.

ثم ظهر الشيخ هريدى الشوربجى وهو من الأصوات الذهبية، ولكن أحدا لم يهتم بتسجيل صوت الشيخ النادر، ولذلك ضاع صوته بعد موته مع أنه عاصر الاسطوانات وشهدت فترة من حياته عصر أشرطة التسجيل، كما كان هناك الشيخ محمد مجد، والشيخ شفيق أبوشهبة قارىء جمهورية زفتى بالاضافة إلى الشيخ محمد سعودى قارىء طنطا والشيخ شتات قارىء الجيزة.

ولكن أغرب ظاهرة فى دولة التلاوة هى ظاهرة الشيخ مهدى السودانى، وهو قارىء مصرى سودانى، وكان نموذجاً رائعا لوحدة وادى النيل، وقد عاش الشيخ مهدى فى حى عابدين بالقاهرة فى صدر شبابه، وعندما استمع إلى الشيخ على محمود أول مرة قرر أن يتبعه كظله، وصار الشيخ مهدى جزءا من حياة الشيخ على محمود، يتواجد فى المكان الذى يوجد فيه الشيخ على ويكون أول الحضور فى حفلات الشيخ ، ويكون آخر المنصرفين من حضرة الشيخ على، ولهذا فقد الشيخ مهدى شخصيته وذاب فى شخصية الشيخ على فأصبح يتكلم مثله ويقرأ على طريقته وينشد التواشيح بأسلوبه، ويكح كما يكح الشيخ على، وكأنه كوكب صغير يدور حول الشمس وإلى الأبد.

وقد نجح الشيخ مهدى فى أن يصبح عضواً فى بطاقة الشيخ على محمود، وقبل أن يموت الشيخ على بفترة قليلة، وعندما استقلت السودان عاد الشيخ مهدى إلى أرض الجذور، فحمل الجنسية

السودانيـة وترك مسقط رأسـه ومرتع صباه فى عابـدين وعاد إلى الخرطوم، ولكـن أين صخب الحياة وبهجتهـا فى عابدين مـن هدوء الخرطوم؟

أصيب الشيخ مهدى بصدمة كبيرة من شوارع الخرطوم الهادئة الخاليـة من المارة، ولعدم وجـود المقاهى الشعبيـة الساهـرة حتى الصباح كما كـان الحال فى سوق الاثنين، وفى حى البـلاقسة، وراح يجتر أيامه مع شلـة من الأصدقاءِ من أبناء الجاليـة المصرية، وظل الشيخ مهدى حريصـاً على قراءة القرآن بالسفـارة المصرية فى عيد ثورة يوليـو، كما كان حريصاً على زيارة القاهـرة كل صيف لرؤية الأهل والأقارب الذين آثروا البقاء فى مصر والاقامة فى عابدين.

والغـريب أنه مـات بعيـداً عن وادى النيل الـذى أحبه، ووافـاه الأجل المحتوم فى رحلـة حج إلى بيت الله الحرام، ودفن فى البقيع مع الصحابة والتابعين! ويخشى العبد للـه أن يكون قد نسى أحداً من نجـوم دولـة التـلاوة، وإن كان من الضرورى أن أتعـرض لـذكـر الشيخ على، وهو أحد القراء الذين ظهـروا فى بداية القرن، وكان من السهل عليـه أن يحتل مكـانا لائقـاً بـه تحت الشمس، ولكن حظـه السيىء أصابه بمرض فى صوته أجبره على التوقف.

ولما كـان الشيخ على يتمتـع بتكـوين جسمانى يشبـــه تكـوين الملاكم، قامـة فارعة وصدر عـريض وعضلات مفتولـة، فقد اكتفى بحضور حفلات المآتـم والمناسبات التى يحييها كبـار القراء، وكان محلـه المختار على مقعـد بجوار دكـة القارىء، وكـان يقوم خـلال السهـرة بدور المطيبـاتى للشيخ الصييت، ويقضـى السهرة يكـرر بعض العبـارات استحسانـا لصـوت القـارىء وتشجيعاً لـه، وهى عبارات محفـوظة وقـديمة ومكررة مثـل.. يامشبع، صلى على البنى كـده واشرع، صلى على حضرة النبـى ﷺ، وهى مهمـــة لايـــزال يمارسهـا حتى الآن مئـات مـن غير الموهـوبين، ويحصلـون آخـر

السهـرة على مايجود بـه القراء، ولكن عمنـا الشيخ على لم يكن من النوع الـذى يرضى بالجودة التى هى من الموجود، لكنـه كان يصر على مشاركة القارىء فى الأجر الذى حصـل عليه، ولأنه كان شديد القوة وشـديد البأس فقـد خضع له أغلب القـراء، ولكن سوء حظ الشيخ على الذى لازمه منذ البـداية أوقعه فى شر أعماله، فقد تحرش بأكبر رأس فى دولـة القراء وهـو الشيخ محمـد رفعت، وكان سـوء حظه مضـاعفاً لأن السرادق الذى شهـد الحادث كان مقـاماً فى حى المدبح.

وفى تلك الليلة رفـع الشيخ على يده وهوى بها على وجـه الشيخ رفعت، ولكن كفـه لم تصل إلى وجه الشيخ ، لأن الشيخ على نفسـه كـان قد سقط على الأرض، وأتحفـه عشاق الشيخ رفعت بعلقـة لم يأكل مثلها حمار فى مطلع، وكـانت هذه هى آخـر مرة يشاهـد فيها الشيخ على فى الحياة !

وإذا كنا قد تعرضنا لحياة العظماء مـن أبناء دولة القراء، فلابد قبل أن نسدل الستار على الماضى المجيد أن نتعرض لتاريخ الرجل الذى كـان له الفضل الأول فى إحياء دولـة التلاوة، وهـو الذى فتح الطريق ومهـده وفرشه بالـورود والرياحين.. عمنا ومـولانا فضيلة الشيخ ندا سلطان دولة التلاوة فى العصر الحديث !


ألحان السماء
وأجبروا
الشيخ
على الغناء!

قليلون جدا يعرفون أن محمد عبد الوهاب ـ فى صباه ـ كان يعرض الحانه على اثنين من كبار القراء أحدهما الشيخ على محمود ، والثانى رجل يدعى الشيخ حسن المناخلى .. وكان عبدالوهب يلجأ إليهما كلما واجهته مشكلة عويصة عند أداء لحن من الألحان.. وكان الشيخ المناخلى يتمتع بصوت جميل وأداء قلما تجد له نظيرا بين القراء ، واستطاع الشيخ المناخلى أن ينتزع الشهرة بطريقة فذة ، فقد كان يشترك مع الشيخ منصور بدّار فى إحياء ليلة بحى السلخانة ، وكان الشيخ بدّار معروفا بمهارته فى «سرقة» الجمهور ، فقد كان لا يدع الفرصة لزميله ليقرأ الوقت المخصص له .. فقد كانت طريقته فى الأداء ـ مع ما له من صوت جميل ـ تجعل الجماهير تصر على سماعه حتى النهاية ، فضلا عن أنه كان فى قمة الشهرة .

وكان الشيخ المناخلى فى بدء حياته .. ولم يكن قد ذاع صيته بعد ، وعندما انتهى الشيخ بدار .. عادت الجماهير تلح عليه أن يواصل قراءته ، فاستجاب لها ، وعندما انتهى ارتفعت الأصوات من كل جانب تطلب إليه مواصلة التلاوة حتى الصباح ، وعندما هم الشيخ بدار

تقدم منــه الشيخ المناخلى ، ودفعــه بيده فألقى بــه من فوق «الــدكة» وأخــذ مكـانــه ، وهــاجت الجماهير ، وهمت بضرب الشيـخ المنــاخلى ، ولكنها سكتت وهــدأت بعد أن استمعـوا اليه ، وعنــدما انتهى، أصرت الجماهير على أن يـواصل التـلاوة ، وانسحب الشيخ بـدار ليلتهـا من الحفل .. بعـد أن تمكن الشيخ المنـاخلى من «سرقــة» جمهـوره بنفس الطريقة التى كان يتبعها الشيخ بدار .

وعاش الشيخ المناخلى يقرأ عندمـا يريد ، وليس كلما طلب إليه أحد من الناس ، ولذلك لم يربح كثيرا .. وكـان يكسب ما يكفيه ، ومات قبل إنشاء محطة الإذاعــة .. وترك عدة اسطوانات قليلــة ضاعت بعد ذلك ، ولم يعـد أحد يعـرف أين ضاعت ؟ وقبل أن يمـوت لحن عدة قصــائد «يـاقوتى الشفتين فـالج السنتين» ، وتوشيح «كـالبدر ليلــة التمام» ، وتعتبر هاتان القطعتــان من أروع ما لحن فى الموسيقى الشرقية ، وظل عدة سنـوات يرفض القـراءة فى الحفلات ، وكلما سُئل عن سر عـزوفه عن التلاوة قــال : إن الناس تسمعنى وتسمع الشيخ البربـرى ، وكان هـو ـ يـرحمه الله ـ لا يـرضى عن طـريقة الشيخ البربـرى وغيره من مشاهير عصره .

●●●

لم ينل قـارىء فى عصره ، وفى إقليمه من الشهرة مثلما نــال الشيخ صــديق المنشاوى ، والــد الشيخ محمــد صــديق المنشاوى «قــارىء الإذاعة المعروف» ، رفض أكثر من مرة أن يـذيع رغم العروض المغرية التى عرضت عليه ، وأخيرا منذ حوالى ٤٠ عاما سافرت بعثة من رجال الإذاعة إلى قنــا لتسجيل شريط للشيخ المنشاوى .. وقبل الــرجل هذه المرة ، وتمت إذاعة الشريط اليتيم له فى محطة الإذاعــة .

نشـأ الشيـخ صديق المنشــاوى وعاش فى مديريــة قنا ، وذاع صيته فيهـا وفى الأقــاليم المجاورة ، واتصل فى شبـابــه بـالشيخ أبوالـوفـا الشرقاوى فطـرب لصوته ، وجعله من خـاصته ، ورفض الاشـتراك فى

احياء الليالى خـارج حدود مديريتى قنـا وجرجا ، وعاش حيـاته كلها لايساوم على الأجر ولا يتفق عليه !

حـدث مرة قبل الحرب الأخيرة بأعـوام ـــ وكان الشيخ المنشـاوى يتقاضـى جنيهـا واحدا عن كل ليله ـــ حدث أن كان يقـرأ فى مأتم أحد أعيـان قنـا ، وفى آخر الليـل دس شقيق الميت «بشىء» فى جيب الشيخ المنشـــاوى ، وانصرف الشيخ دون أن يلقى نظـــرة على هـــذا الشىء واكتشف الشيخ وهو فى المنـزل أن الشـىء الذى دسه الـرجل فى جيبه مليم واحـد لا غير ! وقبل أن يفكـر فى هـذا الذى حـدث ، كـان الـرجل صاحب الليلـة يطرق بـاب الشيخ ليعتذر له عـن الخطأ الشنيع الذى وقع فيـه ، فقد كـان فى جيب الرجل جنيـه ذهبى ومليم ، وكان ينـوى إعطاء الجنيـة للشيخ ، فأخطا وأعطـاه المليم ، ولكن الشيخ المنشاوى رفض أن يتقاضـى شيئا فوق المليم قائلا :

«قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» .

وكـان للشيخ المنشـاوى ولـــدان أكبرهما الشيخ محمـد صـديق المنشاوى القـارىء المعروف ، والثانى كـان ذا صوت جميل ومـوهبة حسنة ،وكـان يقرأ القرآن والتـواشيح ،وفى ليلة من ليـالى عام ١٩٣٩ وقع عقدا مع إذاعة الشرق الأدنى ، واستعـد للسفر إلى القدس ، ولكنه استيقظ عند الفجر فقد استبد بـه القلق ، وضايقه الحر ، ووقف برهة ينظـر من النـافذة فى الـدور الخامس ، ولم تمض دقـائق حتى شعـر بإغماء سقط على أثـره من النافـذة إلى الشارع فمات ، وفى مأتمه قـرأ الشيخ محمـد رفعت ، والشيـخ على محمـود ، وغيرهما من مشـاهير القـراء ،فقد كـانوا جميعـا أصدقـاء لوالـده الشيخ المنشاوى ، وكـان الشيخ رفعت يعتبره أستـاذا فى التـلاوة ، وصـاحب مدرسـة فنيـة فى التجويد .

وظل الرجل حتى مات وفيا لعهده فلا يقـرأ خارج حدود مديريته ،

ولا يساوم على الأجر ، ولا يتفق عليه ،مرة واحدة فقط هجر إقليمه وجاء إلى القاهرة ليقرأ القرآن ثلاثة أيام متتالية ،حدث ذلك فى عام ١٩٤٩ . وفى مأتم الشيخ محمد رفعت ،ولكن الظروف أجبرته مرة أخرى على زيارة القاهرة عندما أقنعه المذيع اللامع فهمى عمر وبلدياته بالحضور إلى القاهرة لإجراء اختبار لصوته فى الميكروفون .

وحضر فعلا للقاهرة ،وقام الفنيون باختبار صوت الشيخ ،ولكن النتيجة للأسف الشديد كانت بالسلب ،وليست بالإيجاب ،لأن الأصوات لسوء الحظ كالوجوه ،وبعض الوجوه الجميله لا تصلح للتصوير ، وأيضا بعض الأصوات الجميلة لا تصلح للميكروفون، والعكس أيضا صحيح.

ومن سوء حظنا أن الشيخ صديق المنشاوى الكبير كان صوته من هذا النوع!

وفى عام ١٩٣٧ اكتشف مفتش بيطرى بتفتيش بهتيم صوتا جديدا يرتل القرآن فى نغم رتيب حبيب، يشبه إلى حد كبير صوت المرحوم محمد رفعت،وكان صاحب الصوت الجديد هو الشيخ كامل يوسف البهتيمى .

وفى عام ١٩٣٨ قدم الدكتور والأستاذ الجامعى أمين زاهر، الشيخ كامل إلى الأستاذ محمد فتحى الإذاعى المعروف.

وفى اليوم التالى كان الشيخ كامل يذيع من محطة القاهرة، وبأجر قدره ٥٠ قرشا عن كل إذاعة.. وعندما قامت الحرب قفز أجر الشيخ إلى خمسة جنيهات ثم إلى عشرة.. ثم إلى خمسة عشرة.

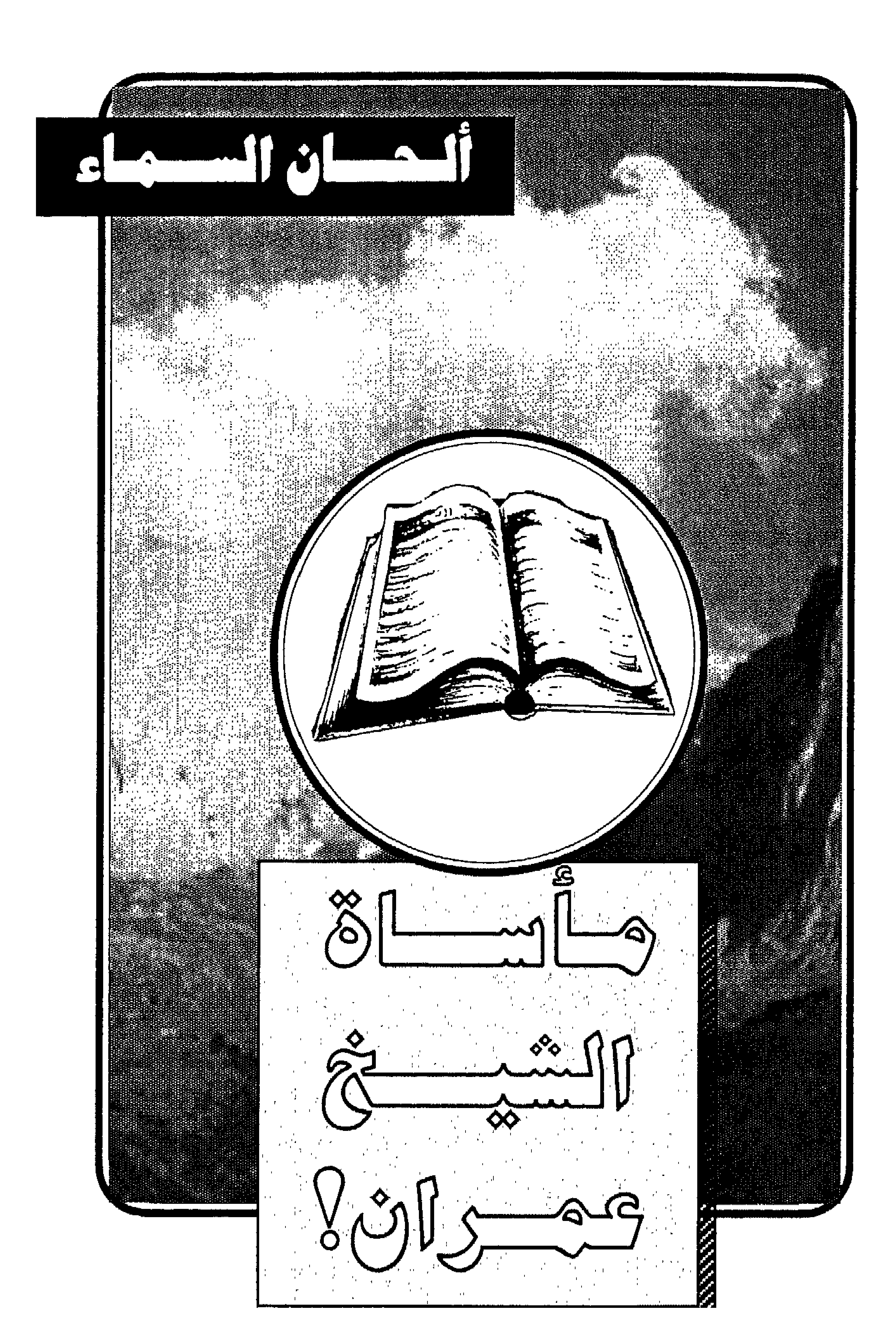
وفى عام ١٩٤٤ سافر الشيخ إلى فلسطين ليذيع من محطة الشرق الأدنى، وبأجر خمسمائة جنيه فى شهر رمضان.. وفى العام الذى يليه ـ ١٩٤٥ ـ سافر الشيخ كامل إلى السودان ليقرأ القرآن فى النادى المصرى بالخرطوم طوال شهر رمضان وبأجر خمسمائة جنيه أيضا،

وعنـدما جـاء عام ١٩٤٧ كـان الشيخ كامل يـذيع من محطات لنـدن وسوريا ودلهى والشرق الأدنى، وبأجـر قدره جنيه مصرى واحد لكن عن كل دقيقة.

ولقد نشأ الشيخ كامل وعـاش طفولته الأولى فى بهتيم.. ثم نزح إلى القاهرة ليتعلم القـرآن فى مدرسة عثمان باشا ماهـر بالقلعة.. ثم دخل الأزهر ، وقضى فيه فترة قصيرة قبل أن يفصلوه ، وكان سبب الفصل هو كثرة تغيب الشيخ كامل عن حضور الدرس.. فقد كان الشيخ يظل طـوال الليل يطـوف حـول السرادقـات التى يقـرأ فيهـا الشيخ محمدرفعت، والشيخ على محمود وغيرهما مـن العمالقة، وكان الشيخ كـامل لا يعود إلى منـزلـه إلا مع الفجـر، وكان الشيخ رفعت هـو أول العمالقـة الذين تعـرف بهم الشيخ كامل، وظل الشيخ رفعت يخصـه بالعطف والحنان حتى مات.

لقد ظل الشيخ كامل يبكى كلما سمع صوت الشيخ رفعت، وكانت أحب الأصـوات إليـه هما صـوتـا الشيخ محمـد سـلامـة، والشيخ مصطفى إسماعيل ، فالشـيخ مصـطفى صاحب أجمل صـوت بين القراء، والحادث الـوحيد الـذى لا ينساه حـدث له فى فلسطين فى عـام ١٩٤٤، حيث حاصرتـه جماعة من الجنود الإنجليز السكـارى وطلبوا منـه أن يقرأ لهم ظنـا منهم أنه يغنى .. واضطـر الشيخ إلى أن يغنى لهم أكثـر من سـاعـة، وهم يتمايلـون من النشـوة والسرور، قبل أن يتركوه.

والشيخ كـامل تـوفى فجأة، قبل أن يصل إلى سـن الستين، وهـو متزوج، ولـه عدة أولاد، وكان من أمنيـاته أن يقرأ سـورة الكهف يوم الجمعة فى القدس الشريف، وأن يحصل على جميع تسجيلات المرحوم الشيخ محمد رفعت.


ألحان السماء
مأساة
الشيخ
عمران!

قبل أن يموت الشيخ على محمـود بليلة واحـدة كان يقرأ وينشد التواشيح حتى الصبـاح، وكان يبدو عليه ليلتها أنه أقوى من أى وقت مضـى، وكذلك الشيخ نداء، فقـد ظل يقـرأ حتى مـــات.. رجل واحـد فقط اعتـزل التــلاوة فى قمــة مجده عـام ١٩٣٧، هـذا الـرجل هــو الشيخ منصور بدّار.

كان الشيخ بدار صديقا لسعد زغلول،ومعظم رجال الوفد المصرى عاش معهم تلك الأيـام المجيدة الخالـدة.. أيام ثـورة ١٩١٩، وكان فى وداع سعد عندما ذهب إلى المنفى، وكان فى استقباله عندما عاد.. ورأى الإنجليـز يقتلـون الناس فى الطـريق والـوطنيين العـزل من الســلاح يحاربون بأصابعهم، ويموتون وعلى أفـواههم ابتسامة الرضا، وأراد الشيخ بدار أن يشــارك قومه. ولم يكن يستطيع أن يفعل شيئـا سوى أن يقـرأ.. وكان الأزهـر مهـد الثـورة، وفيه يلتقى كـل مساء أقطـاب الـوطنية وأشهـر الخطبـاء وعشرات الألـوف من الجماهير الغاضبـة الثائرة، وكـان الحفل يبدأ وينتهى بصـوت الشيخ بدار.. ولـذلك أطلق عليه لقب « قارىء الثورة » .

وقبل ثـورة سنة١٩١٩ كان الشيـخ بدار يعيش فى استنبـول، فقد كـان الخليفـة العثمانى يحب اقتنـاء كل شىء نفيس.. فقـرر اقتنـاء الشيخ بـدار.. لكونـه صــاحب أجمل وأعـذب وأحلى صوت ظهـر بين أصحاب أصوات ـ مطربين وقراء ـ منذ بداية القرن الحالى حتى يومنا

هــذا، ويكفى أن الشيخ مصطفــى إسماعيل والشيخ عبــدالبــاسط عبدالصمد يتبعان طـريقته.. وربح الشيخ بدار كثيرا.. واقتنى لنفسه ضيعة كبيرة فى القليوبية، ثم فجأة اعتزل التلاوة ـ ولا أحد يدرى لماذا ـ وكان ذلك فى عام ١٩٣٧.. مع أنه قبل ذلك بعشر سنوات ظل أسبوعا كاملا يقـرأ فى مأتم الزعيم سعد زغلول.. ولم يحضر بعـد ذلك حفلات عامــة إلا مرتين.. مـرة عام ١٩٣٠ فى ذكـرى وفاة سعــد.. ومرة عــام ١٩٣٦ فى مأتم الملك فـؤاد.. وعــاش الشيخ بـدار حتى بلغ من العمـر أرذلـه، ولـزم ضيعتـه يتلـو القرآن أحيـانــا لأصـدقــائه، ويسرد على مسامعهم تفاصيل الأحداث التى عاشـها بين اسطنبول والقاهرة.

سألت مرة الشيخ السعدنى عن رأيه فى أصوات القراء ، فقال:

رفعت مثل أبــو ذر الغفارى، يمشـى وحــده ويموت وحــده، ويبعث وحده يــوم القيامة، وصوت الشيخ بـدّار كالذهب المصهـور، وصوت مصطفى إسماعيل كالذهب المسبوك، وكل قارئ، وله رائحة خاصة، وطعم مختلف، مثل حديقة الفاكهــة، فيها كل شـىء من البلح الزغلول، إلى العنب البناتى، والمهم التوفيق وخدمة القرآن!

●●●

عاش الشيخ يوسف المنيلاوى قبـل الشيـخ أحمد ندا، ومات بعده، وكان صديقــا حميما للشيخ سلامة حجازى، وكــامل الخلعى.. وكان يتحيز كثيرا للمـرحوم داود حسنى، ويعتقــد أنه أعظم ملحــن ظهر فى مصر، ومن هنا قامت العداوة بينــه وبين الشيخ على محمود، ومن هنا أيضا جاءت المنافسة بين الرجلين.

وكــان حظ الشيخ المنيلاوى أضأل مــن حظ منافســه الشيخ على محمود، ومن هنــا أيضا امتلأت نفـس الرجل حسرة وضاق بـالحياة، وكانت طريقتــه فى التلاوة حزينة بــاكية، ولعله القارئ الــوحيد الذى ظهر فى مصر، وكــان يستفسر رأى السامعين فى صــوته أثنــاء التلاوة، فكان يقــرأ «والشمس وضحاهــا»ثم يــدقق النظر فى الجالسين حــوله

ويقول «إيه رأيك ياجدع»؟ وترتفع صيحات الإعجاب من كل جانب، وكان الشيخ يسر كثيرا لهذه الصيحات، فقد كان يرحمه الله يعانى مشاكل نفسية رهيبة، ربما كانت راجعة إلى ضآلة حظه فى الحياة، وكان يحز فى نفسه أنه صديق لكل العظماء فى عصره، فإذا مات قريب لأحدهم لم يدع الشيخ المنيلاوى إلا كصديق، فقد كانت طريقته فى الأداء وما فيها من غرابة تبعد بينه وبين إحياء الليالى الضخمة.

ورغم ذلك فقد ربح الشيخ المنيلاوى كثيرا، وتتلمذ عليه كثير من مشاهير القراء، منهم الشيخ عبدالعظيم زاهر والشيخ أحمد سليمان السعدنى، وكان فى حياته يتعصب للشيخ رفعت، ويرفعه فوق كل القراء، وكانت عداوته للشيخ على محمود من أسباب هذا التعصب الشديد .

حدث مرة أن كان الشيخ يوسف يقرأ مع الشيخ رفعت فى ليلة واحدة، وعلى غير عادة القراء كان الشيخ المنيلاوى يقفز فرحا من فوق الأريكة، كما تلا الشيخ رفعت آية من الآيات، وعندما انتهى الشيخ رفعت كان الشيخ المنيلاوى قد انخرط فى نوبة حادة من البكاء، ورفض أن يقرأ ليلتها، وأصر على أن يواصل الشيخ رفعت التلاوة حتى الصباح .

وقبل أن يموت اعتزل الشيخ يوسف المنيلاوى التلاوة إذ لم تعد صحته تساعده على السهر الطويل، وعاد الصفاء بينه وبين الشيخ على محمود، وكان الشيخ على أول من قرأ فى مأتم الشيخ يوسف، وكان أول من شيع جنازته، وكان الشيخ يوسف أول قارئ يقام له حفل تأبين يشترك فيه كل قراء القرآن.. ولم يحتفل بتأبين أحد بعد ذلك إلا الشيخ رفعت.. ثم مضت أعوام طويلة.. ومات الشيخ على محمود والشيخ محمد رفعت.. ونسى الناس الشيخ المنيلاوى.. فقد مات دون أن يترك خلفه تسجيلا يذكر الناس بصوته الباكى الحزين الذى وصفه الشيخ البشرى فقال:

«كان صوته شجيا فيه حزن، وفيه توجع، وفيه شجن.

وأتساءل الآن : لماذا لم نستمع ولو لمرة واحدة فى رمضان لصوت العبقرى العظيم الشيخ على محمود، أعظم من رفع الآذان فى تاريخ الإسلام بعد سيدنا بلال مؤذن الرسول؟

ولماذا لا يذيع التليفزيون فترة نصف ساعة على الأقل من القرآن الكريم قبل آذان المغرب فى رمضان كما جرت العادة من قبل، وبشرط أن يقدم لنا الأجود والأفضل من الموتى والأحياء على حد السواء، بدلا من تقديم أصوات تشم منها رائحة الفلوس المدفوعة ثمنا للوصول إلى الكاميرا ؟ .

وأرجو أن نأخذ المسألة مأخذ الجد هذا العام، فتعهد إلى لجنة محترمة لاختيار الأصوات التى نقدمها للناس فى فترة الفجر، بعد أن كثر اللغط حول الوسائل المتبعة للوصول إلى إذاعة الفجر فى ليالى رمضان، وهى وسائل تعتمد على تطبيق المثل الشعبى القائل: «اللى يدفع القرش إبنه يزمر» ونفس الشىء ينطبق على منشدى التواشيح، الذين يقدمون التراتيل والتسابيح فى نفس البرنامج التليفزيونى .

وألفت أنظاركم قبل فوات الأوان، إلى المنشد القزم الضرير الذى يصلح مهرجا فى سيرك، أو يصلح منشدا خلف ميكروفون الإذاعة، ولكن ليس أمام عدسات التليفزيون، لأن فى منظره وطريقة أدائه مايمس هذه المهنة العظيمة، التى احترفها يوما ما العبقرى الشيخ على محمود والعبقرى الشيخ زكريا أحمد والمنشد الكبير الشيخ طه الفشنى والشيخ الفيومى والشيخ الطوخى والشيخ عبدالسميع بيومى والشيخ النقشبندى والشيخ محمد عمران.

أما قصة الشيخ عمران فهى مأساة بكل المقاييس، فلم يظهر منذ فترة طويلة فى مجال التواشيح الدينية والمدائح النبوية صوت على هذا المستوى ولا موهبة من هذا الطراز، كان الشيخ محمد عمران أحد

السائرين على درب الشيخ على محمود وأحد الذين جددوا شباب هذا الكار بعد أن تدحرج عدة درجات على يد الشيخ نصر الدين طوبار ومدرسته، والتى أعادت فن التواشيح إلى حلقة الدراويش والمجاذيب، ومع ذلك لم نشعر كثيرا بوجود الشيخ محمد عمران بيننا، لأنه كان سلعة جيدة، ظهرت فى سوق المناخ حيث الشركات كلها مضروبة والأسهم كلها مطعون فيها، وحيث عملية البيع والشراء هى عملية خداع لا أكثر ولا أقل ، وشيلنى وأشيلك ، وترعانى بسهم أراعيك سهمين.

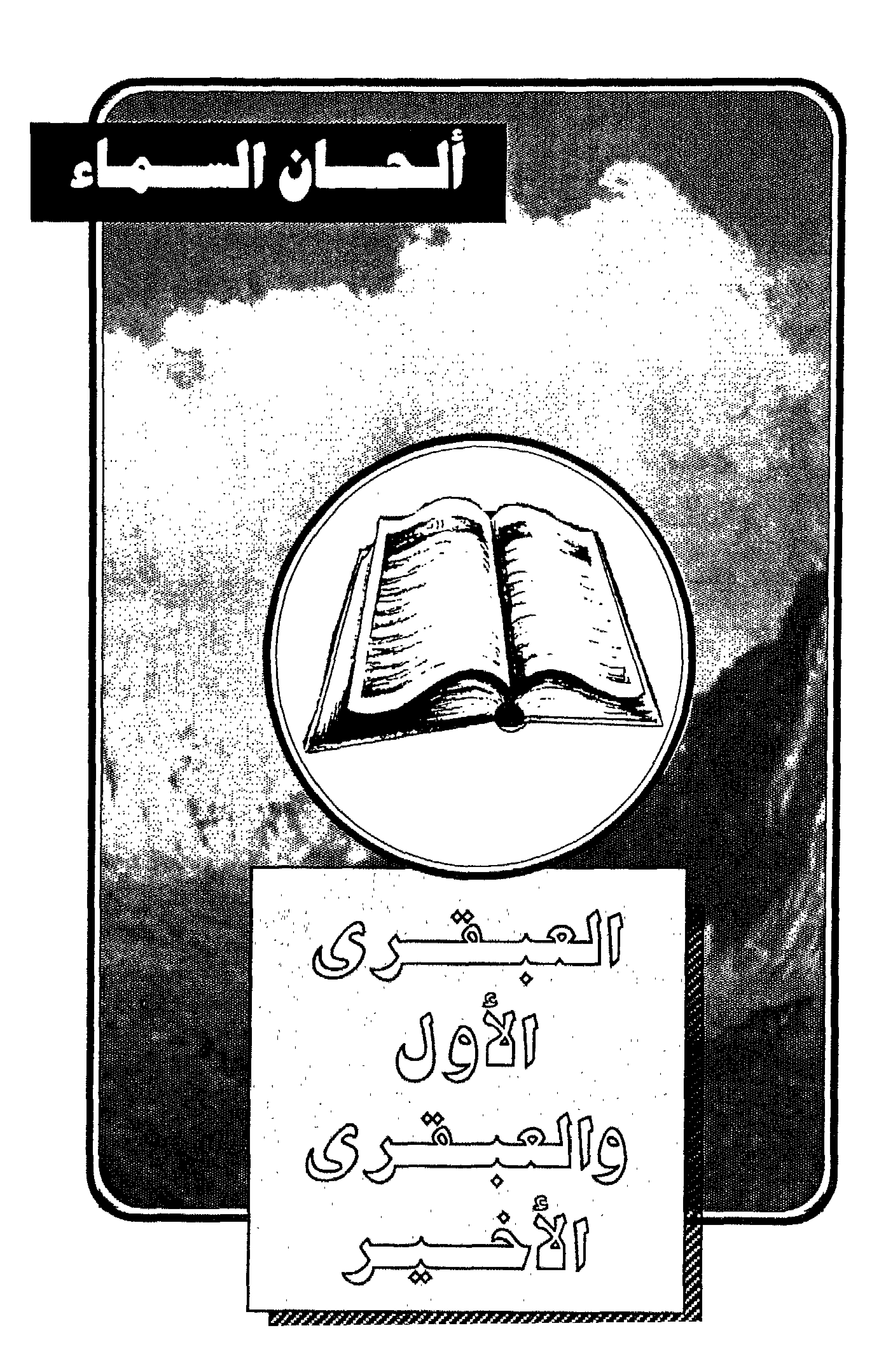
لم يظهر الشيخ عمران فى رمضان الماضى سوى مرة واحدة، بينما استعانوا بالشيخ القزم ثلاث مرات، ويبدو أنه كريم وسخى وإيده فرطة ومن النوع الذى يحب الخير لنفسه وللآخرين!

المأساة أننى سمعت بوفاة الشيخ عمران بعد وفاته بعدة أشهر، والغريب أننى سألت أصدق أصدقائه ـ جلال معوض ـ عن نبأ وفاة الشيخ، فأبدى دهشة شديدة، لأنه لم يقرأ نبأ وفاته فى أى مكان، ولاجريدة مصرية اهتمت بنشر الخبر، حتى التليفزيون الذى يحرص دائما على إذاعة نبأ وفاة سنية بحبح أو على شقوير، لم يهتم بالتنويه عن وفاة الشيخ فى أحد برامجه الدينية، وما أكثرها هذه الأيام، وبعد ذلك يتساءل البعض عن السر فى عدم ظهور أصوات جديدة واعدة.. إنها الفوضى الموجودة على الساحة، وعدم وجود الميزان الذى يزن الأمور بالعدل، فقارىء مثل الطبلاوى مثلا لا يظهر فى التليفزيون إلا مرة كل عام. بينما يظهر القارىء القلتاوى مرة كل يوم. والسبب أن الطبلاوى صاحب صوت جميل وطريقة جديدة فى الأداء، ولكنه عديم المفهومية ولا يؤمن بمبدأ يابخت من نفع واستنفع.

وهناك احتمال آخر هو أن يكون المشرف على عملية اختيار الأصوات فى أجهزة الإعلام من النوع الذى لا يفرق بين صوت الكروان وصوت الغراب .

كما أن أذواق النــاس اختلفت الآن ، فلم يعد أحـد يفرق بين صوت الشيخ همــام وصــوت الشيخ عــلام ، وأصبـــح أحمد مثل الحـــاج أحمد !.

ولذلك انقطعت الصلة بين يـومنا هذا وتلك الأيام القـديمة العظيمة الطيبة، الأيام التى تردد فى أجـوائها أصوات الشيخ أحمد ندا والشيخ على محمــود والشيخ القهــاوى والشيخ الفيشـــاوى والشيخ أحمد سليمان السعدنى والشيخ محمد رفعت والشيخ الشعشاعى والشيخ محمـد سلامــة والشيخ عبـدالعظيم زاهــر والشيخ شعيشع والشيخ منصــور نـــدا والشيخ محمـــد الصيفـى، وأخيرا الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ عبـدالبـاسط عبدالصمـد رحمة الله عليهم جميعـا، ونسأله سبحانــه وتعالى أن يرحم أسماعنا من أصــوات الشيخ منقار والشيخ ملقـاط والشيخ حلبص والشيخ بحبح، وكل المشــايخ فى هــذا العصر الزاهــر الميمون، عصر عـايشة الوعـد وسميرة سعيد وأصــالة ولطيفة وانوشكا والمطربة سيمون !


ألحان السماء
العبقرى
الأول
والعبقرى
الأخير

قبل ظهور الشيخ أحمد ندا كانت قراءة القرآن هى مهنة من لامهنة لهم.. شخص حفظ بعض آيات القرآن باجتهاده الشخصى أو عن طريق الكتاتيب التى كانت منتشرة فى تلك الأيام، أو طالب لم يوفق فى دراسته فى المرحلة الابتدائية.. أو رجل أعمى لم يجد وسيلة للرزق إلا قراءة بعض الآيات فى مقابر الفقراء.

وكان الأجر عشوة فى الغالب، وأحيانا قرش صاغ، ولكن هذا القرش صاغ كان يكفى لإعاشة شخص لمدة يوم كامل، وكان إلى جانب هؤلاء بعض المشايخ الذين ينشدون التواشيح، وكانوا معروفين عند العامة بأولاد الليل، وكان عملهم مقصورا على إنشاد بعض القصائد القديمة، وكان أشهرها على الإطلاق (إذا جاء يوم العرض والعرش واللقا)، وكانت أصوات المنشدين فى هذه الفرق تشبه الصوت الناتج عن خشب يحترق، أو الصوت الذى يحدثه احتكاك عجلات قطار بالقضبان عند أحد

المنحنيات، ولم يكن لهذه الفئة أجر معلوم، ولكن الأمر كان يتوقف على شهامة صاحب الدار.

وفجأة ظهر شيخ أسمر اللون، نحيف العود. وسيم القسمات، يقرأ القرآن بشكل جميل وبطريقة مبتكرة، طريقة تجبر السامعين على الجلوس فى أماكنهم ساعات طويلة، وكما أثر الصوت الجديد على عقول ومشاعر المستمعين، فقد أحدث ثورة عارمة بين بعض المشايخ، وكان محور الثورة الذى يدور حوله النقاش والخلاف هو: هل الطريقة المبتكرة فى التلاوة، وبهذا الصوت الجميل، حلال أم حرام؟!

وترك الشيخ أحمد ندا أصحاب السؤال يتناقشون، ومضى فى طريقه يحقق كل يوم انتصارا باهرا، ويجمع فى كل يوم المزيد من المريدين والأنصار! وهكذا قلب الشيخ العبقرى أحمد ندا الموازين كلها ووصل أجره إلى خمسة جنيهات عن الليلة الواحدة، وجاب أقاليم مصر كلها يسهر فى قصور البشوات ودور العمد والأعيان، ويهرع لسماعه الألوف الذين يعجبون بصوته، ومرة أخرى ارتفع أجر الشيخ إلى عشرة ثم إلى عشرين ثم إلى أربعين جنيها.

وظل يرتفع أجره بعد ذلك إلى أن بلغ مائة جنيه عن الليلة الواحدة، وأصبح للشيخ ندا حنطور تجره ستة خيول، وقصر يؤمه الشعراء والأدباء ورجال الحكم والسياسة، وأصبحت ندوة الشيخ أحمد ندا هى الشعلة الوحيدة المضيئة وسط الظلام الرهيب الذى كان يومئذ يخيم على مصر.

ولم يدرك الشيخ ندا أنه بمسلكه هذا يشعل النار فى قلب الخديو الجالس على العرش، فكيف يجرؤ رجل مصرى من طبقة فقيرة ومعمم على الظهور فى موكب ولاموكب الخديوى، ولأن الهيافة ليس لها حدود، فقد اصدر الخديو (فرمانا) بأن يكتفى

الشيخ أحمد نـدا بزوج واحـد من الخيـول يجر عـربته الفيتـون، وتصـادر العـربة والأحصنـة إذا أصر الشيخ على الظهـور فى نفس الموكب، وآثر الشيخ أحمد نـدا أن يتحاشى حماقة الخديـو فاكتفى بحصـانين اثنين لجر عـربته، ولكن بقـدر نقص أحصنتـه ازدادت شعبيته، وصـار واحدا من أعـلام مصر الخفاقـة، ونجما من نجوم المجتمع المصرى الـذى يتردد على صالـونه زبـدة أهل مصر، ويقف على بابـه أصحاب الحاجـات، وكان الـرجل كريما ينفـق على سعة، ويوزع النفحـات والصدقات، وكـان أجره قد وصل إلى مـائة جنيه ذهبا عن كل ليلة، وكان يحلو له أحيانا نثر الجنيهات الذهبية تحت أقدام أحفاده.

كـان الشيخ أحمد ندا من أوائل الـذين التفتـوا إلى موهبـة ست الكل أم كلثوم، كان يطرب لصوتها ويقبل على سماعها فى أى وقت، وكانت هى الأخـرى تحب سماعه وتطـرب لطريقتـه الفذة فى الأداء، وقـد أحيت أم كلثـوم حفل زواج ابنـــة محمـود نـدا، ورفضت أن تتقـاضـى أى أجر، ولسـوء الحظ أن الشيخ أحمد ندا رفض بشـدة تسجيل القـــرآن على اسطـوانـات لايليق أن تحمـل كـلام الله، لأن الناس تتـداولها وتحملها بأيد قذرة وتلقى بها أحيـانا على الأرض.. ولوسجل الشيخ بصوته العظيم بعض سـور القرآن الكريم لكسبنا الآن ثروة فنية عظيمة بلاجدال ـ رحمه الله عليه ـ .

هذا الفتى الأسمر النحيل الوسيـم الذى كان أول نجم يتلألأ فى دولة التـلاوة فى عصرنا الحديث، ابن حـارة التلول الـذى خرج من معطفـه كل النجوم الـزاهـرة التى أضاءت دولـة التـلاوة بنورهـا، وللعلم ان الشيخ أحمد ندا هـو جد الفنانـة شريفة فاضل والفنـانة سناء ندا.

وإذا كنا قد تعرضنا لنجوم دولـة التلاوة الذين ظهروا فى نهاية

القرن الماضى وعلى طول القرن العشرين.. فيجدر بنا أن نفتح ملف حضرات أصحاب الفضيلة مشايخ هذا الزمان الذين يحترفون التلاوة، وبعضهم يتقاضى فى ليلة واحدة أضعاف ماحصل عليه العبقرى محمد رفعت فى حياته كلها، ومع ذلك فليس بين الموجودين الآن إلا قارىء واحد تستطيع أن تضعه فى مصاف العباقرة، وإلى جانبه يوجد بعض الموهوبين، ثم لاشىء بعد ذلك سوى أصوات نحاسية وطرق أداء من نوع الهردبكش ثم مقلدين، والتقليد هو نوع من التزييف.

وهؤلاء المزيفون لايقل ضررهم عن ضرر اللحمة الفاسدة المستوردة، أو ضرر الشاى المخلوط ببرادة الحديد، العبقرى الوحيد الموجود على الساحة الآن هو الشيخ محمود الطبلاوى، وهى عبقرية لادخل له فيها لأن الصوت موهبة من عند الله، وقد وهبه الله أحبالا صوتية ليس لها نظير، وصفها العبقرى محمد عبدالوهاب بأنها معجزة، لأنها تؤدى النغمة المستحيلة، وقد سبق للعبدلله نشر هذا الكلام وعلى أوسع نطاق فى حياة العبقرى الراحل عبدالوهاب، وعبدالوهاب سميع قرآن نادر المثال، وعندما يقول عبدالوهاب مثل هذا الكلام فلابد أن نصدقه.

ولكن لأن الشيخ الطبلاوى ليس فيه كرم أحمد ندا، ولاتقوى الشيخ رفعت، ولاطيبة مصطفى إسماعيل، ولاكياسة الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، لذلك حاربه الجميع، وعقدوا حلفا ضده.

هل تصدقون أن أعظم قارىء يعيش بيننا اليوم، موجود احتياطى فى التصنيف الذى وضعه عباقرة التليفزيون المصرى؟!

إن هؤلاء القتلة اشبه بمدرب كورة حمار أو صاحب غرض يضع محمود الخطيب على الدكة احتياطى ويضع على رأس التشكيل الكابتن حكشة والكابتن أبوسريع!! لأن الكابتن حكشة

إيده فرطة ، ولأن الكابتن حكشة اللى فى جيبه مش له!!

هل تعلمون أن التليفزيون لاينقل صلاة الجمعة من جامع الأزهر بسبب وجود الشيخ الطبلاوى قارىء السورة.. تصوروا!! إنها مأساة صدقونى أن يترك مثل هذا الأمر لبعض الجهلة أو بعض الأدعياء، فيحجبوا عنا أصحاب الأصوات الندية ويسلطوا علينا أصحاب الأصوات الخشبية، لالسبب إلا لسبب واحد.. اللى مامعهوش مايلزموش!!

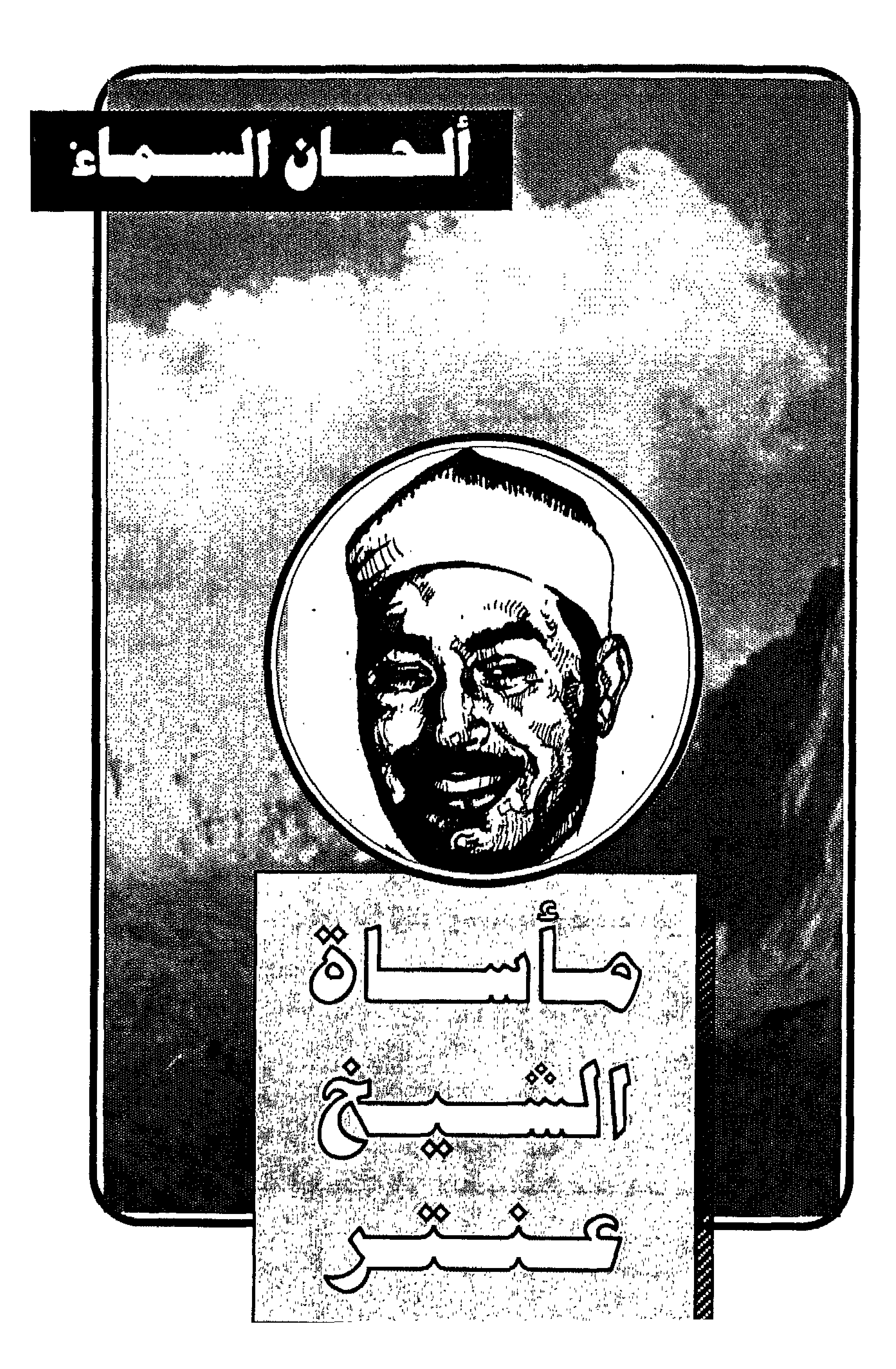
والشيخ الطبلاوى بدأ حياته موظفا فى شركة ماتوسيان للدخان بالجيزة، وكانت وظيفته هى قراءة القرآن ورفع الأذان فى مسجد الشركة، وسرعان مااشتهر أمره فى ربوع محافظة الجيزة، ولكنه لم يحقق الشهرة التى يستحقها لأنه عجز عن الوصول إلى أجهزة الأعلام، لأن الطريق إليها غير سالكة وغير مأمونة، وتحتاج إلى بهلوانات تجيد عملية القفز واللف والدوران، وهى أشياء لايجيدها الشيخ الطبلاوى.

كان السبب فى شهرته تلك التسجيلات التى سجلتها له شركة منتصر، والتى كان يتولى الاشراف الفنى عليها المرحوم الفنان مأمون الشناوى، والذى صرخ عند سماعه صوت الشيخ: هذا الشيخ سيكون هو قارىء الزمن الآتى!! وأدت هذه الأسطوانات إلى انفجار شهرة الشيخ كالبركان، وكانت السبب فى وصوله إلى أجهزة الاعلام فى مصر وخارجها.

وأذكر انني لم أستمع إليه فى مصر فى بداية أمره، والذى لفت نظرى إليه هو الأستاذ الشاعر العراقى الكبير حميد سعيد الذى طلبنى ليعرف رأيى فى صوته. ولما أبديت جهلى به اندهش كثيرا، وقال معلقا: عندما اسمعه انفجر باكيا، وأضاف: إن صوته يحمل هموم وأحزان كل العرب القدامى والمحدثين، وبعدها قررت أن

أستمع إليه، وجاءنى صوته فى الصباح الباكر عبر إذاعة الكويت، ولم أبك كما فعل حميد سعيد، ولكنى تأكدت أن مصر ولادة، وأنها رغم المحنة وغدر الزمان قادرة على العطاء.

هذا صوت يذكرك بالعباقرة الأوائل، منصور بدار، وعلى محمود، ومحمد رفعت ، والشعشاعى ، ومصطفى إسماعيل ، وعبدالباسط عبدالصمد، إنه حبة من السبحة العظيمة، وهو لبة فى الثريا البهية التى تجمع كل هؤلاء، وياألف خسارة لأن العد التنازلى بدأ بالنسبة له فهو الآن فى الثانية والستين ومرض السكر بدأ يداعبه، ولكنه بالرغم من ذلك لايزال الأوحد فى دنيا التلاوة، ونرجو أن يتدخل رئيس الوزراء لدى عباقرة التليفزيون لعلهم يفكون الحصار الذى ضربوه حول الشيخ على أساس أن الصوت النادر ملكية عامة ومشاع لكل المصريين، ومن يحجبه عنهم يكون قد أتى أمرا من شأنه الاضرار بمجموع الشعب المصرى، ويستحق العقاب الشديد!!


ألحان السماء
مأساة
الشيخ
عنتر

إذا كـان صـوت الشيخ الطبـلاوى هـو الصـوت العبقـرى الوحيـد فى دولـة التـلاوة، هناك أصـوات كثيرة موهـوبة فى مقـدمتها صـوت الشيخ مصطفى غلـوش. ولقد أخطأ الشيخ غلـوش فى بدايـة حياتـه عنـدمـا نقل طـريقـة الشيخ مصطفى إسماعيل نقل مسطـرة، وبـالطبع كـان الميـزان فى صـالح الشيخ مصطفى إسماعيل، ثـم أدرك الشيخ غلــوش بعـد سنــوات طـويلة أنــه أخطأ الطـريق، ولكنـه نجح فى الانفصــال عن جـاذبيـة الشيخ مصطفى إسماعيل، وأصبح له مـدار خاص به، فصـار واحـدا من القراء الذين يشار إليهم بالبنان فى بلاط دولة التلاوة.

ولعل الشيخ مصطفى إسماعيل هـو القارىء العبقـرى الوحيـد الـذى قلده ٩٠٪ من قـراء القرآن الكـريم الـذين جاءوا من بعـده، والسبب أنه الوحيد أيضـا الذى يؤدى السهل الممتنع، شأنه فى ذلك شأن بيرم التـونسى فى الشعـر العــامى، وشأن سيـد درويش فى الموسيقى، وشأن محمد التابعى فى الكتابة الصحفية.

وإذا كان التقليد مغفورا للموهومين من أشباه الفنانين، فهو أمر لايغتفر بالنسبة لأصحـاب المواهب، ولاشك أن الشيخ غلوش واحد منهم! ويأتى بعــد الشيخ غلـوش الشيخ أحمد الــزريقى، ويتمتع

بصوت موهوب وله شخصية، ولكنه للأسف الشديد ارتكب نفس الخطأ الذى وقع فيه الشيخ غلوش، فقد بدأ حياته بالسير على طريق الشيخ محمد صديق المنشاوى، وبالرغم من أن التقليد كان واضحا ومعيبا إلا أن الشيخ عبدالباسط عبدالصمد تحمس له كثيرا، ورشحه كأعظم قارىء بعد جيل العمالقة، ولم يكن هذا صحيحا على الاطلاق، ولكنه كان موقفا تكتيكيا من الشيخ عبدالباسط عبدالصمد فرضته ظروف المنافسة وقواعد السوق.

وكما حدث فى عالم الأدب عندما رشح الدكتور يوسف إدريس الكاتب أحمد برعى خليفة له فى مجال القصة القصيرة، وكما رشح حسين شفيق المصرى الزجال أبوبثينة أميرا للزجالين، مع أن بيرم التونسى كان حيا يرزق. ولكنه كان منفيا خارج مصر ومطاردا كالكلب المسعور، ولكنه الخوف. أحيانا والاسترزاق أحيانا، والطمع أغلب الأحيان. ولم يلمع الشيخ الرزيقى إلا بعد أن تمكن من الافلات خارج المجال الجوى للشيخ محمد صديق المنشاوى وصارت له طريقته المستقلة، التى يتبعها فى الوقت الحاضر.

ويأتى بعد هؤلاء الشيخ على حجاج السويسى، والشيخ عبدالعاطى ناصف، وإن كنت لم أسمع الشيخ السويسى إلا منذ سنوات قليلة مع انه تجاوز السبعين من عمره المديد، وهى مسألة غريبة للغاية، ولاأعرف السر فى احتجاب الشيخ كل هذا الوقت الذى مضى، ولكنه دليل على أن المواهب الجيدة قد تختفى فى ظلال العبقريات العظيمة.

هناك أيضا من الجيل الصاعد قارىء شاب اسمه السروجى على مأاعتقد وهو من منيا القمح، وقد استمعت إليه فى ذكرى المرحوم وجيه أباظة، وفى اعتقادى أنه يستطيع أن يشق طريقه إلى الصفوف الأمامية لو ابتعد عن الصياح الشديد، ولوتدرج بصوته من

القرار إلى الجواب إلى جواب الجواب بطريقـة مدروسة، لأن الملاحظ أنه يبدأ وينتهى فى طبقة واحـدة وهى جواب الجواب، وهناك مئات من القـراء على الساحة اليـوم، ولكنهم للأسـف الشديد مـن طبقة «أحمد زى الحاج أحمد» ولافضل لأحـــدهم على أحـــد منهم إلا بالتقوى!

ولكن المأساة الحقيقيـة فى هذا العصر هى مأسـاة الشيخ مسلم عنتر ، فهو صاحب صـوت جميل للغاية، وله طـريقة فذة فى الأداء، واستطاع أن يفـرض نفسه بموهبتـه على إذاعات العـالم الاسلامى والعالم العربى، وكان صوته مادة ثابتة فى برامج الاذاعة الايرانية.

وبـالـرغم من أن الشيخ عنتر نشأ وتـرعـرع فى مـدينـة شيخ العرب السيد البدوى، وهى المدينة التى خرج منها الشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ محمـد مجد والشيخ شفيق أبـو شهبـة وعشرات آخرون من الموهـوبين.. إلا أن الشيخ مسلم عنتر كان أشبـه بنبتة غـريبة، واستطـاع بمـوهبته وحـدهـا أن ينمو دون دراسـة ودون معرفـة بعلم القراءات، ودون أن يتدرب على يد شيخ يلقنـه أصول القراءة، كـان صوتـه هو سلاحـه الوحيد فى المعـركة، وهـو سلاح فعـال بلا أدنى شـك، ولكن الشيخ صاحب الصـوت الجميل كـان مجردا من التروس والدروع، وهى أدوات ضروريـة إذا أراد المقاتل أن يواصل المعركة حتى النهاية.

هنا كانت مأساة الشيخ الذى تصور أن القراءة عملية اجتهادية لاتحتاج إلى ضوابط، وبـالتأكيد لم يكن الشيخ مسلم عنتر يدرك أن دراسة علم القراءات ضرورية للقارىء..

وربما عـرف من بعض محبيه أن رفعت كـان يقـرأ بالقـراءات السبع ، وأن القـراءات السبع تعنى أن يقـرأ الآيـة الـواحـدة سبع مرات، كل مـرة بطريقة مختلفة، لم يعـرف الشيخ أن علم القراءات

يسمح للقـارىء بـالتصرف، ولكن فى حـدود مفـروضـة، ولا يمكن تجاوزهـا أو الخروج عنها ، منهـا ـ مثـلا ـ أن القـارىء يستطيع قراءة الفاتحة على النحو الآتى:

بسم الله الـرحمن الـرحيـم . الحمـد لله رب العـالمين . الـرحمن الرحيم . (مالك) يوم الدين.

وباستطاعته أيضا أن يقـرأها على النحو التالى: بسم الله الرحمن الرحيم . الحمـد لله رب العالمين الـرحمن الرحيم (ملك) يـوم الدين. وعلى نفس الطريقـة يمكن قراءة (الأرض) ويمكن قـراءتها على نحو مختلف، على النحـو التالى: « ولَرْض » ولمن عقبى (الـدار) يمكن أن تتحول إلى: ولمن عقبى (الديـر)، ولكن الشيخ مسلم عنتر تصور أن القـارىء حر التصرف يستطيع أن يقـول مـايـريد وقت أن يشـاء وبالطريقة التى تروق له.

استمعت إليـه مرة يقـرأ بصوت جميل للغـاية هـذه الآية: ﴿إذ قال إبـراهيم رب اجعل هذا البلد آمنـا) ونطق (إبراهيم) مـرة نطقا سليما.. ﴿إبراهيم﴾ ثم أعـادها ﴿إبراهـام﴾ ثم أعادهـا ﴿براهيم﴾ ثم أعادها ﴿برهوم﴾. وهى قراءة خطأ بالطبع وليس لها أية علاقة بعلم القراءات.

ولم يستمع العبـد لله إلى صوت الشيخ إلا عنـد تواجـدى خارج مصر فى زمن الشتات والضياع، وعنـدما عدت إلى مصر اكتشفت أن الشيخ منع من القراءة وبقرار من الأزهر، وبالطبع كان الأزهر على حق.

ولكن العبد لله كـان يتمنى لو كان قـرار الأزهر تبعه قـرار آخر بـالعمل على تـدريب الشيخ وتأهيلـه على يـد أستـاذ كبير تمهيـدا لعـودته مـرة أخرى إلى سـاحـة التلاوة.. ولكن الأزهـر ـ لـلأسف الشديـد ـ منع الشيخ من القـراءة ولم يحاول أن يدله أو يسـاعده على سلـوك الطـريق المستقيـم.. مع أن أشرطـة الشيخ مسلم عنتر

كانت تتنافس أشرطة أحمد عدوية وحسن الأسمر فى ريف مصر وفى أحيـائهـا الشعبيـة، كـان يمكن أن نكسب قـارئا عظيما وصـاحب مـوهبـة فذة، ولكننـا لم نفعل ذلك ولم نحـاول، واذكـر أننى قمت بمحـاولة وأرسلت إليـه للحضور إلى القـاهرة أو السماح للعبـد لله بلقائه فى طنطا، ولكن مرت عشر سنوات طـويلة ولم أتلق منه جوابا حتى الآن، ويبدو أن الضربة كانت شديدة على الشيخ فلم يحتملها، ويبدو أنه آثر الاختفاء بعيدا عن الأنظار مـؤمنا بأن ماجرى له هو قضاء الله وقدره، ولعله لم يـدرك حتى الآن أنه هو نفسه السبب فى كل ماحل به!

وإذا كنـا لم نتنـاول سيرة الشيخ أبـو العينين شعيشع مع مجموعة المشايخ الذين يمارسـون المهنة الآن، فالسبب أننا ذكرناه من قبل مع جيل العمالقـة الـذين ظهـروا فى بدايـات القـرن، ولأن الشيخ شعيشع ـ مـد الله فى عمره ـ كان زميـلا للشيخ الشعشاعى والشيخ منصـور الشامى الـدمنهورى والشيخ محمـود على البنا، وظهـر قبل الشيخ عبدالبـاسط عبدالصمـد والشيخ محمد صـديق المنشـاوى، ولأن السـن لها أحكـام، فـالشيخ شعيشع لايمكن أن يخضع للمقارنة مع من يمارسون المهنة اليوم.

هناك أيضـا بعض الخرافات التى يـرددها بعض المتحمسين أو بعض الهواة من المستمعين، والعبـد لله يتلقى بين الحين والآخـر خطابـات من الزقـازيق وطنطا وبنـى سويف والمنيـا وشبين الكوم والاسكنـدريـة والمنصورة وبـورسعيـد، خطـابات يـرسلهـا بعض المستمعين الطيبين وكل منهم يقسـم بأغلظ الأيمان أنـه يـوجـد بمدينته قارىء (مظلوم) لـو واتته الفرصة فسيصبح خليفة للشيخ محمـد رفعت أو الشيخ مصطفى إسماعيل، وهـذه الخطابـات التى أتلقاهـا هى غالبا من أقـرباء الشيخ (المظلوم) أو من أصـدقائه، أو من بعض أصحاب النوايا الطيبة الذين لايفرقون بين صوت الشيخ

محمد رفعت وصوت العبدالله والذين ينطبق عليهم المثل القائل «كله عند العرب صابون» وأقول لهؤلاء جميعا: كان يمكن أن تموت موهبة عظيمة لو ظهرت فى بداية القرن وحتى منتصفه.

ولكن ومنذ السبعينيات من هذا القرن لم تعد هناك حجة لصاحب موهبة فى عدم الظهور.

فقد كانت المنطقة العربية كلها وعلى امتداد رقعتها ليس فيها صوت مسموع إلا صوت إذاعة القاهرة، وصوت إذاعة الشرق الأدنى من حيفا، وصوت الإذاعة البريطانية فى لندن.

وكانت الإذاعة المصرية يعلو صوتها فى فترات قليلة من اليوم.. فترة صباحية ثم فترة بعد الظهر، ثم فترة مسائية وينتهى الإرسال فى الحادية عشرة مساء.

وكانت الإذاعة تبدأ برامجها بالقرآن الكريم وتختمها بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى فترة مدتها نصف ساعة ، من الساعة الثامنة إلى الثامنة والنصف مساء كل يوم، أما الآن فحدث ولا حرج.. إذاعة رأس الخيمة وإذاعة أم القوين وإذاعة الفجيرة وإذاعة الشارقة وإذاعة دبى وإذاعة أبو ظبى.. ست إذاعات رئيسية فى دولة الإمارات بعضها له عشر شبكات، وإذاعة عمان فى دولة مسقط وإذاعة الدوحة من قطر وإذاعة البحرين وإذاعة الكويت، وفى السعودية شبكة إذاعية تغطى الكرة الأرضية كلها.

وفى العراق إذاعة بغداد وإذاعة صوت الجماهير الموجهة للعالم العربى.

وفى سوريا نفس الشىء.. وفى لبنان إذاعة رسمية وعشرون إذاعة أهلية.. وفى الأردن شبكة إذاعية قوية وإذاعة فلسطين بالإضافة إلى عشرات الموجات من القاهرة.. بالإضافة إلى الإذاعة المتخصصة وهى إذاعة القرآن الكريم.

ثم اذهب إلى المغرب العربى لتجد إذاعة ليبيا وإذاعة البحر

الأبيض وإذاعة صوت الشعب والإذاعة العربية من مالطا، وقل نفس الشيء عن تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا.. هذا عدا اليمن والسودان وإريتريا وجزر القمر والصومال، ثم عندك بعد ذلك إذاعات العالم الإسلامى، من أندونيسيا إلى البوسنة وجمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق، ثم خذ عندك بعد ذلك البرنامج العربى فى الإذاعة البريطانية وإذاعة مونت كارلو، وإذاعة الشرق من باريس أيضا، والإذاعة العربية فى هولندا، وخمس إذاعات عربية فى الولايات المتحدة، وعشر إذاعات عربية فى أمريكا اللاتينية. وإذاعة عربية قوية فى استراليا.

وأستطيع أن أعد لك مائة إذاعة أخرى منها على سبيل المثال الإذاعة العربية من كالادونيا وهى جزيرة وسط المحيط الهادى، نفى إليها الثوار الجزائريون بعد اجتياح فرنسا للجزائر.

بالإضافة إلى محطات التليفزيون التى بلغت ١٠٠ محطة فى العالم العربى منها ٦محطات فى دبى وحدها و٤ فى أبو ظبى ومحطة تليفزيون قوية فى الشارقة، ثم هناك محطات الفضائية من أول محطات الشيخ صالح كامل إلى محطات الشيخ عبده كامل ومحطات الشيخ أحمد كامل إلى آخر عائلة كامل التى سيطرت على الموجات الفضائية، وهى الأخرى تذيع القرآن الكريم أحيانا وتستعين بأصوات تحتاج إلى بلاغ للشرطة لكى تنقذ المشاهدين من أصواتهم التى تشبه صوت ساقية خربانة.

ولك — عزيزى القارىء — أن تحسب كم عدد القراء اللازمين لملء كل هذه الساعات من الإرسال فى الإذاعة والتليفزيون.

لا أقول كم عدد الأصوات الموهوبة التى تحتاجها كل هذه الموجات والشبكات فى الكرة الأرضية؟

ولكنى أقول كم عدد الأصوات نصف الموهوبة أو حتى ربع

الموهوبة أو حتى خمس الموهوبة التى نحتاجها فى الوقت الحاضر؟

العبد لله تعرف على نصاب مصرى ظريف نصب نفسه رئيسا للفلاحين بالعراق، ثم افتتح لنفسه محلا للجزارة وفرض إتاوات على الفلاحين المصريين هناك، ولما طرده العراقيون هناك نتيجة الشكاوى المتعددة فى حقه اضطر إلى النزوح إلى الكويت، وبعد فترة شاهدته على شاشة التليفزيون الكويتى يؤدى التواشيح الدينية ويرتدى زى المشايخ ويغطى قبح صوته وعدم إلمامه بأبسط قواعد هذا الفن بالبكاء الشديد.

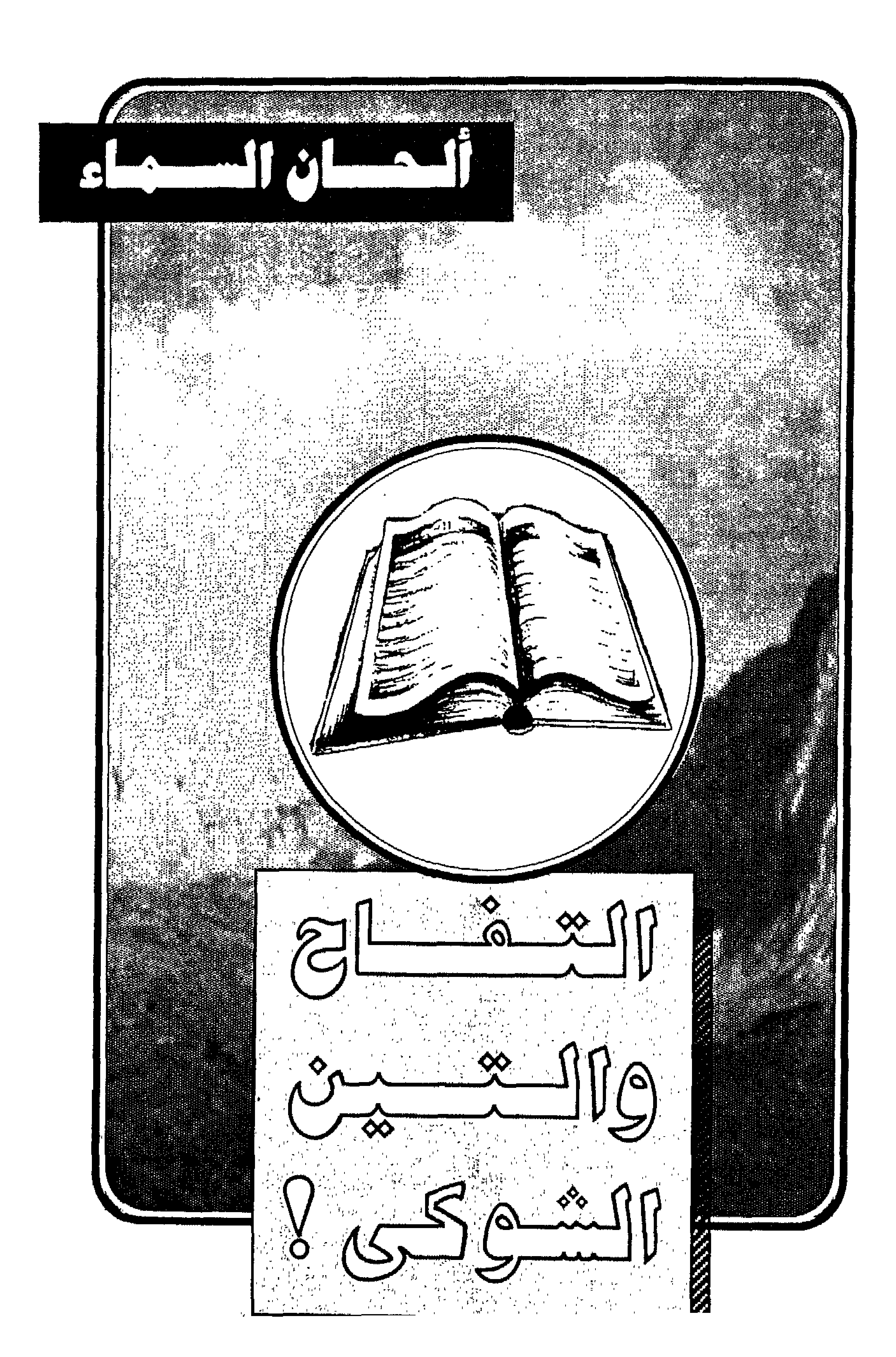
وأغرب شىء هو أن بعض المسنين من أهل الكويت كانوا يبكون معه ظنا منهم أنه يبكى من شدة الورع والتقوى!

وإذا كان النصاب الظريف قد وصل إلى أحد أجهزة التليفزيون فهل يمكن أن تكون موهبة عظيمة موجودة بيننا ثم لايسمح لها بالظهور؟

العبد لله يقول لأى طيب أو ساذج أو موهوم: دلنى على واحد شبه موهوب، وأنا أضمن له الشهرة والمجد والرزق الحلال الوفير، هذه هى الحقيقة.. أيها السادة: لقد أصاب البوار حقل المواهب فى هذا المجال الذى كان خصبا فى الماضى وكنا نشكو من وفرة إنتاجه، ثم أصبحنا نشكو الآن من خرابه، ومن انتشار البوم والغربان.

ونسأل الله الستر والصبر والقدرة على احتمال بعض الأصوات التى تفرض علينا الآن لأسباب بعضها مجهول وبعضها معروف للجميع.

واللهم عفوك ورضاك يارب.



ألحان السماء
التفاح والتين الشوكى!

في هذا الفصل نـذكر المشـايخ الذين رتلـوا كتاب اللــه في العصر الحديث ، مـن أول الشيخ أحمد نـدا، إلى الشيخ فؤاد محجوب ، آخـر طبقة ظهرت في دولة التلاوة، وإذا كنا قـد تعرضنا للعباقـرة والموهوبين، فسيكـون حديثنـا هنا عن المقلـدين، وعندمـا يغيب العبـاقـرة والموهـوبـون ، يحتل المقلـدون مكـان الصدارة،وأبـرز مثال على هؤلاء الدكتـور نعينع، إنه صـورة طبق الأصل مـن الشيخ مصطفى اسماعيل، ولكن ما أبعد الفرق بين الصـورة والأصل.

وإذا كان صـوت مصطفى اسماعيل من معـدن الذهب الـرنان، فصـوت الشيخ نعينـع من معـدن الألمونيـوم، ولكـن بسبب غيـاب العباقـرة ـ وعدم وجـود سميعة من بتـوع زمان ـ احتل الـدكتور نعينع مكان الصـدارة، وأصبح القارئ الـرسمي للدولـة ، مع أنه يأتي في الترتيب بعد عشرات من الأحياء، فالشيخ محمد بدر حسين يفضله بالتأكيد، ولكن لأنه الدكتور ولأنه يرتدي البدلة أصبح أثيرا لـدى المصالح الحكـوميـة، على أساس أن لقـب الدكتـور أصبح في الزمن الحاضر زينة.. ويخلق ما لاتعلمـون، وعلى الرغم من التكريم الحكـومي والحفـاوة الرسميـة، إلا أنك ستجهـد نفسك لاكتشـاف شخصية القارئ إذا فتحت الراديو فجـأة وكان الدكتور نعينع هو

القـــارىء فستظـن فى البـــدايـــة أنك تستمــع إلى الشيخ مصطفى اسماعيل، وفى الآية التاليــة سيخيل إليك أنك تستمع إلى الشيخ طه الفشنى، ولـن تستطيع اكتشـــــاف الاسم الحقيقــى إلا إذا انتهت التلاوة وأعلن المذيع اسم القارىء.

والسبب ان التقليد لايضع بصمــة ولايترك أثرا، ولـذلك سيدوخ دوخة الأرملة كل من يحاول أن يميـز الفروق بين فلان وعلان من الســادة الـذين يحترفـون التـلاوة هـذه الأيـام، لأن كل الأصـوات الجديـــدة نسخ مكـــررة، وأصحــابها مقلـــدون وليس لهم سكك مختلفة، ولكنهـم جاءوا جميعا مـن طريق واحـد وساروا على درب واحد.

وزمان... كـان لكل صوت سمــة خاصــة وملامح مميـزة، وكل قارىء كان لــه لون وله طعم، وكانوا مثل الأشجـار المثمرة فى جنة فواكــه، فإذا كان صــوت الشيخ محمد رفعـت هو التفاح، فــالشيخ مصطفى اسماعيل هــــو العنب البنـــاتى، والشيــخ عبـــدالفتـــاح الشعشاعى هو الرمان، والشيخ عبـدالباسط عبدالصمد هو الخوخ، والشيخ الحصرى هـــو الجوافـة، والشيــخ المنشـــاوى هـــو البلح الزغلـول، والشيخ عبدالعظيم زاهـر هو الكمثـرى، والشيخ محمود على البنا هــو البطيخ الشلين، والشيخ محمد صديق المنشـــاوى هو التين البرشومى، والشيخ محمود عبدالحكم هو الموز المغربى.

تعالوا الآن نتشمم رائحة الموجودين على الساحة، فسنجد أنهم جميعا لهم رائحـــة النبق والدوم والجميـز والتين الشوكى، بعضهم بدأ بـداية طيبـة مثل الشيخ عبدالواحـد زكى، ثم أصابتــه العدوى فأصبح كــالآخـرين، وســار على درب الشيخ هــاشم هيبــة، وهــو اختيار غريب للغاية، لأن الشيخ هاشم هيبة نفسه ليس من الطبقة الأولى فى دولة القــراء، ولأن التقليد صـــار هو الأصــل الآن، فستجد

أن دولة التـلاوة انقسمت إلى قبـائل وإلى عشائر، هنـاك عشرة قراء على الأقل يقلدون الشيخ الطبـلاوى، منهم القارىء فـؤاد محجوب والقـارىء نجيب شحاتـة والقـارىء أسامـة أبـو النور والقـارىء شريف محمد والقارىء عبدالحليم دراز.

وهنـاك عشرة قـراء على الأقل يقلـدون الشيـخ محمـد صـديق المنشاوى، أشهـرهم هو صـلاح شمس الدين ومحمـود أبو الـوفا الصعيـدى، وهنـاك أكثر من عشرة قـراء يقلـدون الشيخ مصطفى اسماعيل، أشهـرهـم طبعا الـدكتـور نعينع والشيخ فتحى المليجى، وهناك الكثيرون يقلـدون الشيخ عبدالبـاسط عبدالصمـد، أشهرهم الشيخ محمـد البحيرى، وهناك الشيخ صـلاح يـوسف الذى يقلـد الشيخ عبدالعزيز على فرج، وهناك المبتهل الشاب الشيخ البساتينى الذى يحاول السير على طريق الشيخ النقشبندى.

وكنت أتمنى أن يمنحنى الله القـوة والصحـة لكى اتتبع واتعقب كل السـادة الذين يحترفون هـذه المهنة فى الـوقت الحاضر، ولكنى اكتشفت اننى لا أستطيع القيـام بهذه المهمـة بعـد أن وهن العظم منى واشتعل الـرأس شيبـا، ولم تعـد أعصـابى تحتمل كل هـذه الأصـوات النحـاسية التى أصـابت أذنى الـوسطى، فصرت أتـرنح أحيانا وأسقط على الأرض أحيانـا كلما استمعت إلى صوت من هذه الأصـوات التى ينطبق عليهـا ذلـك الهتـاف الشهير لعمـدة الفن المصرى مولانـا يوسف بك وهبى، والذى كـان يهتف به فى المواقف الصعبة وفى الحالات الحرجة، وهو هتاف يا للهول!

وقـد يسأل سـائل.. ومـا العمل؟ هل نسكـت؟ هل نيأس؟ هل نصبر على مـا ابتلتنـا بـه الأيـام؟ وأجيب.. لا، لانسكت ولانيأس، ولكن هناك حلولا كثيرة، أهمها تعديـل النظام المعمول به فى اختيار الأصوات الجديدة فى الإذاعة والتليفزيون، وأول إجراء يجب اتخاذه

هو إلغـاء لجنة الاستماع المكونة من فضيلـة الشيخ برانق والشيخ حبـة وغيرهما، وأن نضم إلى لجنـة الاستماع إلى جـانب أصحـاب الفضيلة المشـايخ بعض السادة الـذي نثق فى حسن استماعهم وفى عـدالة أحكـامهم. وأرشح لهذه المهمة الشيخ أبـو العينين شعيشـع، فهـو من الـرائحة الـزكيـة القـديمـة، وهو خبير فى علـوم وفنـون القراءات، وهـو الذى حكم منـذ سنوات بـإفلاس دولة التـلاوة من الأصـوات الجديدة الجميلـة. وأرشح أيضـا سميعا قـديما وعظيما وخبيرا وأستاذا فى فـن الموسيقى والألحان والمقامـات، وهو النـاقد الفنى الكبير الأستاذ كمال النجمى والعبد للـه واثق من أن أية لجنة تضم مثل هـؤلاء الثـلاثـة ستكـون قـادرة على اختيـار الأفضل والأحسن، وبشرط أن يعرض عليها كـل الأصوات التى تذاع الآن فى الإذاعة والتليفزيون.

وهناك اقتراح آخر أرجو أن يبحثه الـوزير صفوت الشريف لأنه كفيل بـرفع مستـوى الغنـاء والموسيقى والإنشـاد الـدينى، وحتى التلاوة. بأن يستثنى شرط سن المعـاش بالنسبـة لمن يتولى منصب مديـر الاستماع فى الإذاعة. لأن الأمور أخـذت طريقهـا إلى الانحدار بعد محمـد حسن الشجاعى ومـدحت عاصم. ولابـد أن نعهد بهذه المهمـة إلى خبير حقيقى، وليس إلى موظف حكـومى بدرجـة مديـر، وأرشح لهذه المهمـة فى الـوقت الحاضر المؤرخ والنـاقـد الموسيقى العظيم محمود كامل.

إن مصر تستحق أن تكون مـوسيقاها أرفع ممـا هى عليه الآن، وأن تكون فنـونها كلها أروع ممـا هى عليه الآن، وعيـب أن ينحدر فن التلاوة عندنا إلى هذا السفح الذى وصل إليه، وعيب أن نلجأ إلى تقليـد بعض المدارس الغـربيـة على فننـا، عيـب أن يلجأ بعض المنشـدين وبعض القـراء إلى هـذا الطـريق، فمصر هـى التى أنجبت

الشيخ أحمد ندا والشيخ محمد رفعت والشيخ على محمود والشيخ مصطفى اسماعيل والشيـخ الشعشـاعـى والشيخ زاهـــر والشيخ عبدالباسط عبدالصمد .

وحبذا لـو اهتممنا كثيرا بمـدارس تحفيظ القرآن الكـريم، فهى المنبع الـذى يمدنـا بـالقراء والمبتهلين، لأن هـذه المدارس هى التى حلت محل الكتاتيب القديمـة، التى كان لها أعظم الفضل فى الحفاظ على استمرارية الفن العظيم، فن التلاوة والابتهالات .

وفى النهــايـة ينبغــى ألا ننسى سببـا آخـــر فى سقـــوط الفن وانهيـاره، هــو انتشــار هـذه الشركـات التى لا أصل لها ولافصل، والتى تنتج أشرطـة التسجيل، والتى انتشرت كـالـوباء فى سيـارات الأجـرة، والعبد للـه يرى مكـافحـة هذه التسجيـلات والقبض على أصحاب هـذه الشركات، التـى يمتلكها ويديـرها عينـات من البشر، أغلبهم بلا صنعـة، وليس لهم أدنى صلة بالـذوق أو بالفن، والتى أساءت إلى شعب مصر وإلى تراثه المجيد وتاريخه العريق.

وبعد .. أرجـو مخلصـا أن يكـون التوفيق قـد حالفنـا فى عرض وجهـة نظـرنـا، وأن يكون الصـواب حليفنـا فيما عـرضنـا عليكم. وأرجو.. إذا كنـا قد أسأنا التعبير أن يسـامحنا الـذين أسأنا إليهم والذين أحسنا إليهم أيضـا، إذا نسينـا أو أخطأنا، فلم يكن لنا هدف إلا التعبير عما نحسه ونشعـر به، ولم يكـن لنا هـدف إلا النهوض بهذا الفن والعودة به إلى عهوده الزاهرة، ولم نفعل سوى الاجتهاد، وفى ديننـا الحنيف، وللمجتهـد المخطـىء أجـر وللمجتهـد المحسن أجران ..نسأل الله أن نكـون من أصحاب الأجـرين، ونشكر الله إذا كنا من أصحاب الأجر الواحد!

رســـالــة :

يحـيى عاصم

YAHYA ASSIM

ALVEN PALACE HOTEL

R .JACOB RICHLIN 208

JOINVILLE - S.C.'

BRAZIL

٧ أكتوبر ١٩٩٥

« الشيخ «محمود السعدنى»

الويل لك ثم الويل لك، وعفـا الله عنك.إذ كيف سولت لك نفسك الأمـارة بالحسنى والجمـال، ان تتجـاهل ـ وانت الخبير بشئـون التلاوات والتالين وألحان السماء قارئا عملاقا لا يضاهيه قارىء فى حـلاوة صـوته. لا من قبل ولا من بعـد، ذلك هـو الشيخ الكـامل: كامل يوسف البهتيمى.

كيف يجوز لذواقـه وسمِّيع مثلك أن تصدر منه هـذه الفعلة؟ فى حين أنك تحشر الشعشاعى والحصرى بين العمالقة، وهما ليسا من العمالقة فى شىء، إلا إذا كانت «العملقـة» تعنى ضخامة الجسم أو صوتا خشنا، وهذا شـىء وحلاوة الصوت ولذة الألحان شىء آخر.

وإنقـاذا للمـوقف الـذى وضعت نفسـك فيـه بتجـاهلك الشيخ البهتيمى، مـا عليك إلا أن تحدثنا فى مقـال قـادم عن شيخنا هـذا، أصله ونشـأته، إلى أن وافته المنية فى أحد مساجد القاهرة وهو قائم

يصلى ويتلو إلى جانب زميله العملاق الآخر محمد صديق المنشاوى.

فهل انت فاعل ذلك؟

الشيخ مصطفى اسماعيل والآخرون:

إذا كان لكل من الشيوخ القراء : محمد رفعت، والبهتيمى والمنشاوى وشعيشع وآخرين أسلوبه الخاص، فذلك الأسلوب إنما هو أسلوب واحد لا غير. أسلوب جميل ولكنه أسلوب واحد ووتيرة واحدة.

أما مصطفى اسماعيل فقد كان مجموعة كبيرة من الأساليب، وكان متمكنا من الألحان والأنغام إلى حد لم يضاهه أحد فيه. وكان يتلاعب فى الألحان والأنغام كما تتلاعب أنت بالكلمات والجمل فى كتاباتك الساحرة الساخرة، وكما كان يفعل أخ لك من قبل اسمه «برنارد شو».

وقد سألت أنا ذات يوم عملاقا آخر فى ميدان آخر ذا صلة وثقى بألحان السماء عن أحسن قارئ فكان جوابه: مصطفى اسماعيل، ومافيش غيره. هذا ما قاله لى محمد عبدالوهاب، مطرب الملوك والأمراء والصعاليك والغلابة.. فى كل مكان.

أشيخ أم شيخان ؟

على أن الشيخ مصطفى اسماعيل لم يكن شيخا واحدا كسائر القراء بل كان شيخين اثنين.

أما مصطفى اسماعيل الشيخ الأول فهو الذى نستمع إلى تلاوته فى الاذاعات خمس دقائق أحيانا، وثلاثين دقيقة أحيانا أخرى.

وهو فى هذه التسجيلات المذاعة لا يختلف عن القراء الباقين. فهو قارئ عادى، بل هو فى هذا دون البهتيمى وشعيشع والمنشاوى، وهؤلاء جميعا أجمل منه صوتا.

أما الشيخ الثـانى، القارئ العمـلاق، بل عملاق العمالقـة فهو مصطفى إسماعيل فى الحفـلات الـدينيـة التى تقـام فى القصـور والمساجـد.. هناك يكـون الإبداع.. وهنـاك تعلو أصـوات السامعين والسامعـات إكبارا وإجلالا وطربـا وخشوعا وذهولا، هنـاك فى هذه الحفـلات ينقل شيخنـا مصطفى إسماعيل سـامعيـه من عـالم إلى عالم.

هكذا كان مصطفى إسماعيل منذ «رمضـانيات» قصر عابدين فى دولـة «فـاروق» وظل كـذلك فى دولـة عبـدالنـاصر ثـم فى دولـة السادات.. إلى أن قضى نحبه فى دولة مبارك.

وكنت ذات يـوم أزور الشيخ مصطفـى إسماعيل فى شقتـه بـالـزمالـك فسألته عـن سر الفرق بين التسجيـلات المذاعـة وبين الحفـلات الكبرى ؟ فكان جـوابـه: فى الحفـلات الوقت أطـول، وفى الحفلات تجاوب بينه وبين جمهور السامعين، بل الجماهير الغفيرة من سامعين وسـامعات ليس من المحيط إلى الخليج فحسب.. بل فى كل بلد مسلم، إيران وتركيا والباكستان حتى أندونيسيا.

ومصطفى إسماعيل بـالنسبـة لمن عـاصروه من القـراء كـان كبيرهم الـذى علمهم السحـر، سـحر التـلاوة والقـراءة تجويـدا وترتيلا.

وقـد حـاول الكثيرون أن يقلـدوه ولكنهم فشلـوا ،لأن مصطفى إسماعيل كان فى تلاوته ـ كما قلت أنت بحق ـ سهلا ممتنعا.

وحـاولت مـرة أن أعـرف من الشيخ مصطفى عمن يعجبـه من المطربين والمطربات، فاكتفى بالقول: واحدة وواحد.

أما الـواحدة فهى بالطبع «أم كلثـوم» وأما الواحد فهـو «صالح عبدالحى».

ويبـــدو لى ولكثير من عشـــاق التـــلاوة.. أن الشيخ مصطفى إسماعيل قـد تأثـر إلى حـد كبير فى أسلـوب تـلاوتـه بـــ «صـالح عبدالحى» صاحب «المولات» و«الليـالى» والقصائد الشهيرة.. والتى سار على أسلوبه الكثيرون حتى يومنا هذا.

محمود السعدنى والمرأة:

ليس فى كتاباتك ياشيخنا يـامحمود، مايشير أو يشم منه رائحة عـــدائك للمـــرأة .. ولكنـــك مع ذلك ، وســـامحك الله ، تجاهلت السيـدة الأولى بل السيـدة الوحيـدة التى سجلت بصـوتها الجميل آيـات من «ســورة محمـد» فكـــانت أول قـارئة مصريـــة والقـارئة الـوحيدة التى عـرفتها أسطـوانـات تلك الأيام، وكـان ذلك فى أوائل القرن الحالى.

ألم تسمع بها ياأستاذ محمـود؟ وكيف لمثلك ألا يسمع بالشيخة «سكينة حسن» فلماذا إذن لم تتطـرق إليها فى أحـاديثك عن القراء والتالين.. لماذا؟

تجاهلت أجمل صوت بين القراء الـذين قضوا نحبهم والذين هم ينتظرون، ذلك هو صوت البهتيمى.

ثم تجاهلت القـارئة الأولى والقـارئة الـوحيدة «شيخـة سكينـة حسن» فهل لك الآن أن تحدثنـا عنهـا، كما ستحـدثنـا عن كـامل يوسف البهتيمى وإن اتسع لك المقـام والمقال فحدثنـا عن «صـالح عبدالحى» كذلك.

وأخيرا ، سلام عليـك يوم ولـدت ويوم تموت بعـد عمر مـديد.. ويـوم تبعث حيا ، ونعـوذ بـالله من شر ذلك اليوم المستطير الـذى ستعود فيه حيـا ، كتـابك بشمالك وقلمـك الـساخر بيمينك!

أو ليست الحياة كلها سخرية فى سخـرية؟ ألسنا جميعا يسخر بعضنا من بعض؟

وأخيرا مرة أخرى، رسالتى هذه تحية لك.

أسترد على تحيتى هـذه بأحسـن منهـا أو مثلهـا؟ أو على الأقل بأقل منها؟

يحيى عاصم
كاتب سـابق
وقارىء لاحق

وتلك الأيـام نـداولها بين النـاس وبين الكتـاب والقـراء والمقرئين.

يحيى عاصم

YAHYA ASSIM

ALVEN PALACE HOTEL

R. JACOB RICHLIN 208

JOINVILLE - S.C.

BRAZIL

رقم الإيداع ١٠٩٨٩ / ٩٥

الترقيم الدولى I. S. B. N

977 - 08 - 0269 - 7

وزارة الثقافة — الهيئة المصرية العامة للكتاب

هيئة الكتاب

بيت الثقافة لكل قارىء مصرى وعربى

فيهـا كتـب قيّمـة

أن خدمة القـارىء والمثقف والباحث وتيسير إحتياجاته الثقافيـة من الكتب والمراجع يعتبر هدفا رئيسيا لهيئة الكتـاب التى تحرص على ان تقدم لهم الكتاب فى أحسن شكل من حيث الاخراج والطبـاعة والمضمون الذى هـو فى متناول الجميع ومن أجل ذلك تدور مطابع هيئة الكتاب ليصل الى القارىء المصرى والعربى الكتب القيمـة التى يتوالى أصدارها لتثرى مجال الثقافة فى مصر والعالم العربى ومن الاصدارات الجديدة



يحتل تـولستوى ودوستويفسكـى مكانـة رفيعة فى ذروة الروايـة الطويلـة باجماع أهل الـرأى من الملمين بتراث الأدب والفكـر وشخصيتهما جديـرة بـالبحث، وفكرهما زاخـر بالنبوءات التى كان من بينهـا نبوءة الثورة البلشفيـة وما تعـرضت له روسيـا من آثـارها وقد حظى هـذا الكتاب بـالكثير من ثناء النقـاد وترجم الى عدة لغات أجنبية وأعيد طبعه جملة مرات

تولستوى (ليون) ١٨٢٨ ـ ١٩١

صورة الغلاف ـ من رسم جوردون روسى

هـذه صفحـة مفعمـة بـالحيـاة لأحـوال مصر الاجتماعية والثقـافية والاقتصادية بل والسيـاسية فى منتصف القرن التاسع عشر، يزيد من قيمتها ان كاتبها ليس بشـخص عادى، وانما رحالـة عالم طبقت شهرته الآفاق هو الايرلنـدى ريتشارد بيرتون الذى زار مصر فى غضون سنة ١٨٥٣ أى فى أواخر عهـد عباس باشا الأول (١٨٤٨ ـ ١٨٥٤) وكـانـت مصر يـومئـذ تمر بمرحلـة انتقال خطيرة كـان لها أبعادهـا الاقتصاديـة والاجتماعية والثقافية

وفى الجزء الثالث والأخير من رحلته يعرض لزيارته لمكة المكرمة والطـريق اليها ولمنـاسك الحج وللعادات والتقاليد وما الى ذلك.

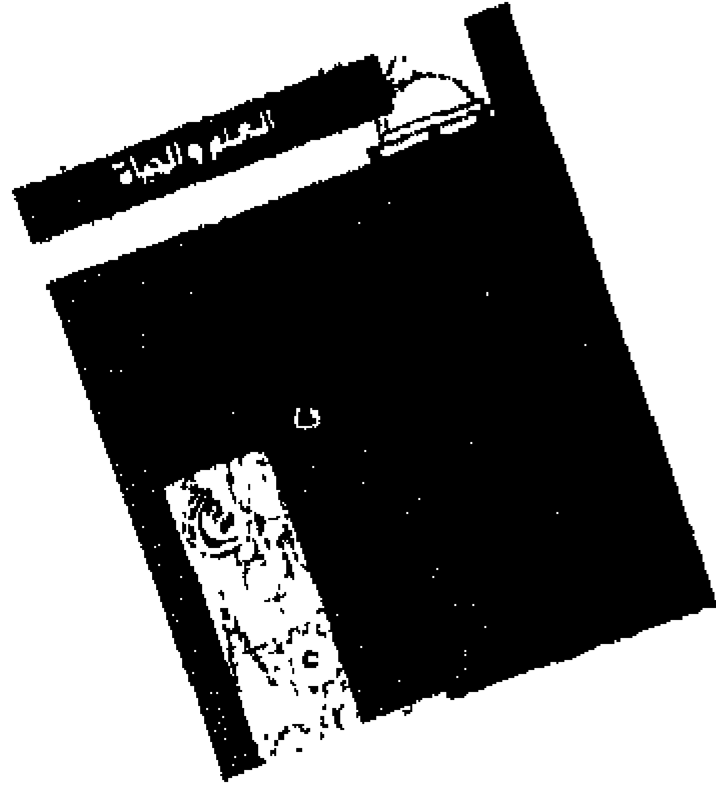


هذا الكتاب

ـ هـو بـاكـورة الكتب التى تصـدر تحت اشراف الاتحاد المصرى للشطرنج

ـ وهو يهتم أسـاسا بـالناشئين الملمين بالقـواعد الأوليـة للشطـرنج وكـذلك الكبـار من محبى اللعبـة، ويخطـو بهم فى طريـق اكتمال وتنميـة قـدراتهم فى التعامل مع المراحل المختلفة للمباراة على أسس علمية

وقـد اعتمد فى أسلـوبـه على البسـاطة والـوضـوح وكـذلك الشرح الوافى لكل مهـارة من المهارات والتأكـد من حسن استيعابها وفهمها بتوضيح الأمثلة والنماذج المحلولة ثم يتبعها باختبارات عديدة.



هـذا الكتـاب الـذى بين يديك، والـذى به تخطـو الى (عـالم البنـاء)، تسلحـا بمبادئه وأصـول أسـاسـات علـومـه هـو ضرورة، لكى تسهم معنـا فى تـوعيـة المواطنين بجعلهم فى مأوى آمن، لا يخافون من سقـوطه على رؤوسهم بسبب تحسن أو جهـل أو خطأ جسيم متعمد . فيراقب كل منـا، مايدور حـوله، واذا رأى خطأ أو لمح خطيئة، سارع بإبلاغ الجهـات المسئولة، لتدرك الخطأ قبل أن يستفحل وتوقف الخطيئة قبل أن يكتمل نموها

السلسلة	الكتاب	اسم المؤلف
اشراقات أدبية	مقام الخوف	عزة بدير
اشراقات أدبية	طرقات فوق أبواب الزمن	عبدالحميد عيسى غازى
اشراقات أدبية	رحلة خارج الأفق	احمد عبدالحفيظ
اشراقات أدبية	لا أسميك	امل جمال
العلم والحياة	انهيار المبانى	م . جرجس حلمى
العلم والحياة	أسلحة الدمار الشامل (١)	د . جمال الدين محمد
العلم والحياة	أسلحة الدمار الشامل (٢)	د . جمال الدين محمد
العلم والحياة	النقل الجوى فى مصر (١)	سراج الدين محمد
الألف كتاب	بين تولستوى ودوستويفسكى (٢)	د . أحمد حمدى محمود
الألف كتاب	رحلة بيرتون (٣)	د . عبدالرحمن الشيخ
الألف كتاب	فن الفرجة على الأفلام	وداد عبدالله
الألف كتاب	السيناريو فى السينما الفرنسية	دليلة سى العربى
الألف كتاب	خفايا نظام النجم الأمريكى	حليم طوسون
مؤلفات	عنترة / حكاوى الزمان / د.زعتر (٢)	يسرى الجندى
مؤلفات	صفحات من حياة / الناس الأكابر (٥)	يوسف جوهر
أعمال كاملة	كلمات فى المدينة / لاتسقنى (٧)	سعد مكاوى
مسرح عربى	التماثيل تنتحر	فوزية مهران
مسرح عربى	الغجرى بغبقان سليط اللسان	بهيج اسماعيل
مصر النهضة	مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين	د . الهام محمد ذهنى
مختارات فصول خاصة	بقع القلب	عبدالمنعم الباز
خاصة	شعر ومكاشفة	محمد الشماح
خاصة	المفهوم السياسى لليهود (١)	سفير / د . حسين شريف
خاصة	رحلات جيولوجية فى صحراء مصر	د . محمد فتحى عوض الله
خاصة	الأبعاد الاقتصادية لأزمة السينما	ناصر جلال حسنين
خاصة	الاعلام والمجتمع	د.غازى زين عوض الله
خاصة	الشطرنج الحديث	د عصام أحمد لطفى

اصدارات هيئة الكتاب ثقافة رفيعة بأسعار رمزية

هذا الكتاب

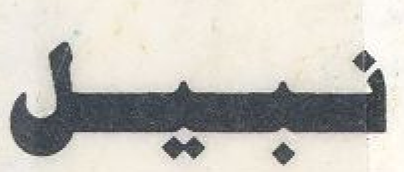
فى هذا الكتاب تحول محمود السعدنى من كاتب ساخر يهتم بأمور الدنيا إلى شيخ معمم يهتم بأمور الدين..!!

وكما يقول الشيخ متولى الشعراوى فى تقديمه لهذا الكتاب.. «فالكاتب العزيز الأستاذ محمود السعدنى الذى طوف بأدبه وفكره ما طوف.. وأثرى المكتبة الأدبية والسياسية بما خلف، أهل لأن يجعل الله لدينه نصيبا من أدبه وحظا من قلمه..» .

ومن يعرف محمود السعدنى جيدا لا يندهش إن اتجه بقلمه ليكتب عن قراء القرآن الكريم، فهو من هواة الاستماع لهم منذ شبابه الباكر.. وكان يشكل ثنائيا مع المرحوم الفنان صلاح منصور فى تعقب هؤلاء القراء العظام أمثال الشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ عبدالباسط عبدالصمد والشيخ عبدالعظيم زاهر وغيرهم.. وفى سبيل هذه الهواية تعرضا للضرب فى بعض المواقف التى ذكرها السعدنى على صفحات هذا الكتاب..!

ويقول الشيخ الشعراوى: «إن هذه الكتيبة من القراء الذين شدوا بالحان السماء.. وبتأليف الله لهم.. لم يكونوا مكررين.. لا اداء.. ولا صوتا.. ولا لحنا.. بل لكل واحد منهم نغم يخدم النص» .

ويبدو أن الشيخ محمود السعدنى عازم على مواصلة كتاباته الدينية بأسلوبه المتميز.. فهو يعكف حاليا على إصدار كتاب جديد عن سيد الخلق وأكرم الناس سيدنا محمد بن عبدالله.. وسـ
سلسلة «كتاب اليوم» فور الانتهاء منه.




نبيل

الثمن ٤ جنيهات

طبعت بمطـ